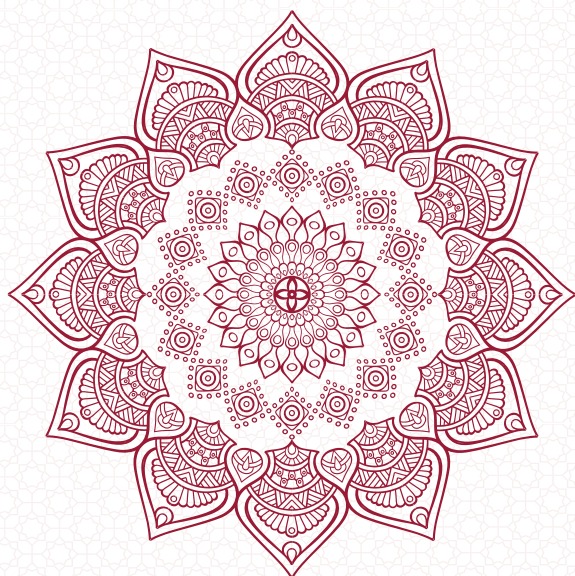


شرح منظومة

الأرجوزة المئوية في ذكر حال أشرف البرية

لفضيلة الشيخ:

أ. د. أحمد بن حمد الوئيس



شرح الأرجوزة المنيّة في ذكر حال أشرف البرية

لابن أبي العز الحنفي رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى^(١)

برنامج دليل ١٤٤٧هـ

الدرس الأول

إن الحمد لله .. أما بعد:

فأقدم بين يدي هذه الأرجوزة بثلاث مقدمات:

المقدمة الأولى: التعريف بالناظم^(٢):

هو صدر الدين علي بن علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الأذري الحنفي.

ولد في ثاني عشر ذي الحجة سنة ٧٣١هـ.

من شيوخه عماد الدين إسماعيل بن كثير الشافعي رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى، تصدى للتدريس والفتوى وولي القضاء بالشام ثم بمصر، ومن مؤلفاته: شرح العقيدة الطحاوية، والقصيدة اللامية في تاريخ الخلفاء، وهذه المنظومة في السيرة، توفي سنة ٧٩٢هـ، رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى.

(١) تنبيه: هذا الشرح مستفاد من بعض شروح هذه الأرجوزة لأهل العلم جزاهم الله خيراً، ومن مراجع أخرى، ولم يُراعَ فيه التوثيق العلمي؛ لأن الغرض ابتداءً لم يكن لنشر هذا الشرح، وإنما تم إخراجه بهذه الصورة للتيسير على طلاب العلم في برنامج دليل، والله الموفق.

(٢) ينظر في ترجمته: رفع الإصر ص ٢٧٨، وشذرات الذهب ٨ / ٥٥٧.

المقدمة الثانية: التعريف بالأرجوزة المئّية في ذكر حال أشرف البرية:

هي أرجوزة من بحر «الرَّجَز» أحد بحور الشعر، نظمها ابن أبي العز رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى في مائة بيت، موجزة في سيرة الرسول ﷺ من ولادته إلى وفاته.

وهي منظومة عذبة سهلة، تناسب المبتدئ في طلب العلم، مشتملة على أصول أحداث السيرة النبوية.

واسمها الأرجوزة المئّية في ذكر حال أشرف البرية؛ لأن الناظم ذكر ذلك في آخرها، فقال:

وَتَمَّتِ الْأَرْجُوزَةُ الْمِئِّيَّةُ فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّةِ
شرحها جماعة من المعاصرين، في شروح مطبوعة ومسموعة.

المقدمة الثالثة: أهمية دراسة السيرة النبوية:

يدل على أهمية دراسة السيرة النبوية عدة أمور، منها:

١- أن الأصول الثلاثة التي يُسأل عنها العبد إذا وضع في قبره، معرفة العبد ربه تبارك وتعالى، ودينه، ونبيه ﷺ، ولا بد في معرفة النبي محمد ﷺ من التعرف على شيء من سيرته.

٢- أن السيرة النبوية هي دراسة لسيرة أعظم رجل عرفه التاريخ، فهو ﷺ سيد ولد آدم، وخير الخلق عليه الصلاة والسلام، فكان حرياً بكل مسلم ومسلمة أن يقرأ سيرته ﷺ، ويستلهم منها العلم والحكمة.

وإنك لتعجب من حال بعض الناس الذين انصرفوا عن قراءة سيرة النبي ﷺ إلى قراءة سير مَنْ دونه، بل وصل الحال ببعضهم أن يشتغل بقراءة سير أعلام من الكفرة، ومعرفة دقائق تفاصيل حياتهم، بما لا يعرف مثله عن

رسول الله ﷺ، وعن أصحابه رضي الله عنهم، وهذا من الخذلان عياداً بالله، فإنه ما من خير وهدى وحكمة في سيرة رجل إلا وهي موجودة في سيرة رسولنا محمد ﷺ، وفي سنته العطرة، وفي سيرة أصحابه وآثارهم رضي الله عنهم.

٣- أن فهم بعض آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ متوقف على معرفة السيرة النبوية، ففي القرآن والسنة مواضع متعلقة بالسيرة النبوية، فمثلاً سورة الفيل لها تعلق بسيرة النبي ﷺ في قصة أصحاب الفيل المعروفة.

٤- ما تضمنته السيرة النبوية من مسائل عقدية، وأحكام فقهية، وآداب أخلاقية مهمة لطالب العلم، كما سيأتي التمثيل على ذلك عند دراسة هذه الأرجوزة إن شاء الله تعالى.

٥- التمكن بدراسة سيرة النبي ﷺ من الذب عنه، والدفاع عن دعوته، ورد الشبهات المثارة حوله رضي الله عنهم، وتزييف الباطل، وإحقاق الحق في ذلك.

٦- أن دراسة سيرة النبي ﷺ تزيد في محبته عليه الصلاة والسلام، وتحث على اتباعه، والاقتداء به، ولزوم سنته وطاعته.

٧- عناية السلف بدراسة السيرة وتعليمها لأولادهم، فعن علي بن الحسين رضي الله عنه قال: «كُنَّا نَعْلَمُ مَغَازِيَ النَّبِيِّ ﷺ وَسَرَائِهِ كَمَا نَعْلَمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ»^(١).

وقال الزهري رحمه الله تعالى: «فِي عِلْمِ الْمَغَازِي عِلْمُ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا»^(٢).

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ٢/ ١٩٥.

(٢) المرجع السابق ٢/ ١٩٥.

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: «كَانَ أَبِي يُعَلِّمُنَا مَغَازِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَعُدُّهَا عَلَيْنَا، وَسَرَائِيَهُ وَيَقُولُ: يَا بَنِيَّ هَذِهِ مَآثِرُ آبَائِكُمْ فَلَا تُضَيِّعُوا ذِكْرَهَا»^(١).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في صيد الخاطر ص ٢٢٨، ٢٢٩: (رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب؛ إلا أن يمزج بالرفائق، والنظر في سير السلف الصالحين ... لأني وجدت جمهور المحدثين وطلاب الحديث همه أحدهم في الحديث العالي، وتكثير الأجزاء، وجمهور الفقهاء في علوم الجدل، وما يُغالب به الخصم. وكيف يرقُّ القلب مع هذه الأشياء؟! وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سمته وهديه لا لاقتباس علمه، وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته، فافهم هذا، وامنزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا، ليكون سبباً لركة قلبك).

وأعظم سيرة وأهم سيرة تطالع هي سيرة رسول الله ﷺ، ثم سيرة صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في زاد المعاد ١ / ٦٩: (وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم).

قال الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى:

١ - الْحَمْدُ لِلَّهِ الْقَدِيمِ^(١) الْبَارِي ثُمَّ صَلَاتُهُ عَلَى الْمُخْتَارِ

(الحمد) وصف المحمود بالكمال محبة وتعظيما، واللام في (الله) للاستغراق: أي استغراق جميع المحامد لله تعالى.

كما تفيد الاختصاص، فالذي يستحق الحمد المطلق الكامل هو الله سبحانه، أما غيره فإنما يحمد على أشياء خاصة.

الله: لفظ الجلالة علم على ربنا جل وعز، لا يُسَمَّى به غيره، وهو أعرف المعارف.

ومعناه: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

(القديم) ليس من أسماء الله تعالى، لأنه لم يدل عليه دليل من كتاب ولا سنة، وأسماء الله تعالى توقيفية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى كما في مجموع الفتاوى ٣٠٠ / ٩: (وعامة النظار يطلقون ما لا نص في إطلاقه ولا إجماع كلفظ القديم والذات).

والقديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم. للعتيق، وهذا حديث. للجدید. ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]. والعرجون القديم: الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قيل للأول: قديم.

وإدخال القديم في أسماء الله تعالى مشهور عند أكثر أهل الكلام، وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف.

(١) هذا الذي في النسخ الخطية، وفي بعض النسخ المطبوعة (القدير) بدل (القديم).

والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها، فلا يكون من الأسماء الحسنی، وجاء الشرع باسمه الأول، وهو أحسن من القديم، لأنه يُشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له، بخلاف القديم. والله تعالى له الأسماء الحسنی لا الحسنّة^(١).

ولو قال الناظم: (التقدير) بدل (القديم) لكان أولى.

(الباري) من أسمائه سبحانه، قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ ومعناه: الخالق للخلق، وموجدهم بعد العدم.

(ثم صلاته) صلاة الله على نبيه ﷺ: ثناؤه عليه في الملاء الأعلى، كما في أثر أبي العالية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قال: (صلاة الله عزَّ وجلَّ عليه ثناؤه عليه، وصلاة الملائكة عليه الدعاء)^(٢)

والصلاة من الآدمي بمعنى الدعاء للنبي ﷺ أن يشني الله عليه في الملاء الأعلى عند الملائكة المقربين.

والأكمل أن يقرن الصلاة بالسلام، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ومعنى سلامنا عليه ﷺ: أي ندعوا الله تعالى أن يسلمه من كل نقص وعيب، والسلام عليه ﷺ من الله تعالى أي أن الله سبحانه سلمه من كل نقص وعيب.

(على المختار) أي المصطفى، وهو الذي اختاره الله تعالى واصطفاه على غيره، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ وروى مسلم (٢٢٧٦) عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

(١) ينظر شرح الطحاوية للناظم ١/ ٧٧، ٧٨.

(٢) رواه الجهضمي في فضل الصلاة ص ٨٠ وقال الألباني في تحقيقه: إسناده موقوف حسن.

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةٍ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».

وذكر الحافظ ابن حجر أن المصطفى من أسماء النبي ﷺ، قال في فتح الباري ٥٥٨/٦: (ومن أسمائه المشهورة المختار والمصطفى والشفيع المشفع والصادق المصدق وغير ذلك).

٢- وَبَعْدُ هَاكَ سِيرَةُ الرَّسُولِ مَنْظُومَةٌ مُوجَزَةٌ الْفُصُولِ

(وبعد) قيل هي كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى غيره. وقيل: هي كلمة يؤتى بها للدخول في الموضوع المراد.

والمعروف في الأحاديث، لفظ: أما بعد، قال البخاري في الصحيح: باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد. ثم ساق عدة أحاديث فيها أن النبي ﷺ قال في خطبه أما بعد.

ومعناها: مهما يكن من شيء بعد.

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في الفتح ٥١٥/٢: لا تختص بالخطب بل تقال أيضا في صدور الرسائل والكتب. ثم قال: وقد كثر استعمال المصنفين لها بلفظ: وبعد.

فالأولى أن يأتي بـ (أَمَّا) بدل الواو؛ لأنه لم يثبت عنه ﷺ أنه تلفظ بالواو. ويعتذر للناظم بأنه أتى بـ «وبعد» لضرورة النظم.

(هاك سيرة الرسول) أي خذ سيرة الرسول محمد ﷺ، والسيرة هي: أخبار رسول الله ﷺ وأحواله منذ ولادته إلى وفاته.

والرسول في اللغة: المبعوث، وسمي الرسول بذلك لأنه مبعوث من قبل الله تعالى برسالة إلى الخلق.

والفرق بين النبي والرسول:

قال شيخ الإسلام في النبوات ص ٢٨١: (فالنبي هو الذي يُنبئه الله، وهو ينبيء بما أنبأه الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليلبغه رسالة من الله فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشرعية قبله ولم يُرسل هو إلى أحد يلبغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول).

فكل رسول فهو نبي، وليس كل نبي يكون رسولاً.

(منظومة) النظم: كلام موزون مقفّى، والنظم خلاف النثر. وهو أيسر حفظاً من النثر، وقد اعتنى العلماء بنظم العلوم، تيسيراً على الطلاب، قال السفاريني في الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية:

وصار من عادة أهل العلم أن يعتنوا في سبر ذا بالنظم
لأنه سهل للحفظ كما يروق للسمع ويشفي من ظما

(موجزة) والموجز من الكلام: ما قل لفظه وكثر معناه.

(الفصول) جمع فصل، وهو في الاصطلاح: اسم لطائفة من مسائل الفن مندرجة غالباً تحت باب أو كتاب.

والناظم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لم يجعل في منظومته فصولاً طلباً للاختصار، ولكن رتبها ترتيب الفصول على وفق أحداث السيرة النبوية.

٣ - مَوْلِدُهُ فِي عَاشِرِ الْفَضِيلِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ عَامِ الْفِيلِ

(مولده) أي اليوم الذي ولد فيه النبي ﷺ، هو العاشر من شهر ربيع الأول. (في عاشر الفضيل) أي المفضل على غيره من الشهور بولادة النبي ﷺ فيه، وهذا لا يعني تخصيصه بشيء من العبادات، أو الاحتفالات، بل هو شهر كغيره من الشهور.

(عام الفيل) سمي بذلك؛ لأن أبرهة الأشرم الحبشي والذي كان واليا على اليمن آنذاك قصد البيت الحرام في ذلك العام ليهدم الكعبة، وكان معه جيش عظيم، وفيل ضخّم لم ير مثله، وقيل كان معه عدة أفيال، وسبب ذلك أن أبرهة بنى باليمن كنيسة هائلة بمدينة صنعاء، ربيعة البناء، مزخرفة، وعزم أبرهة على أن يصرف حج العرب إليها كما يحج إلى الكعبة بمكة، ونادى بذلك في مملكته، فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك، وغضبت قريش لذلك غضبا شديدا، حتى قصدها بعضهم، وتوصل إلى أن دخلها ليلا. فأحدث فيها وكرّاً راجعا. فلما رأى السدنة ذلك الحدث، رفعوا أمرهم إلى ملكهم أبرهة، وقالوا له: إنما صنع هذا بعض قريش غضبا لبيتهم الذي ضاهيت هذا به، فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة، وليخربنه حجرا حجرا.

فسار أبرهة بجيشة العظیم حتى نزل في المغمّس، وهو موضع قريب من مكة، وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها، فأخذوه. وكان فيها مائتا بعير لعبد المطلب. وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة، وأمره أن يأتيه بأشرف قريش، وأن يخبره أن الملك لم يجئ لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت. فجاء حناطة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام،

وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمة، وإن يخلي بينه وبينه، فوالله ما عندنا دفع عنه. فقال له حناطة: فاذهب معي إليه. فذهب معه، فلما رآه أبرهة أجّله، وكان عبد المطلب رجلاً جميلاً حسن المنظر، ونزل أبرهة عن سريرته، وجلس معه على البساط، وقال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال لترجمانه: إن حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي. فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه، لا تكلمني فيه؟! فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه. قال: ما كان ليمنع مني! قال: أنت وذاك.

ورد أبرهة على عبد المطلب إبله، ورجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة، والتحصن في رءوس الجبال، تخوفاً عليهم من معرفة الجيش. ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، وقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لاهم إن المرء يم نع رحله فامنع حلالك.

لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهياً فيله، وعباً جيشه، فلما وجهوا الفيل نحو مكة، وضربوه ليقوم أبى. فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول. ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك. ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة فبرك. وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه،

أمثال الحمّص والعدس، لا تصيب منهم أحدا إلا هلك، وخرجوا هاربين يتدرون الطريق، وقريش وعرب الحجاز، ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النقمة.

وليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة، بل منهم من هلك سريعا، ومنهم من جعل يتساقط عضوا عضوا وهم هاربون، وكان أبرهة ممن يتساقط عضوا عضوا، حتى مات ببلاد خثعم^(١).

٤- لَكِنَّمَا الْمَشْهُورُ ثَانِي عَشْرِهِ فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ طُلُوعُ فَجْرِهِ

(لكنما المشهور ثاني عشره) هذا استدراك من الناظم، أي لكن القول المشهور في يوم ولادة النبي ﷺ هو الثاني عشر من شهر ربيع الأول.

(في يوم الاثنين) أي كان يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول هو يوم الاثنين، وقد روى مسلم (١١٦٢) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الْإِثْنَيْنِ؟ فَقَالَ: «فِيهِ وُلِدْتُ، وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ».

وفي يوم الإثنين مات النبي ﷺ.

(طلوع فجره) أي طلوع فجر النبوة، والمعنى طلع فجر النبوة يوم الاثنين. ويحتمل أن يريد فجر يوم الاثنين، أي أن ولادته ﷺ كانت فجر يوم الاثنين، ولكن هذا يحتاج إلى دليل على أن ولادته ﷺ كانت فجر يوم الاثنين.

٥- وَوَافَقَ الْعِشْرِينَ مِنْ نَيْسَانَا وَقَبْلَهُ حَيْنُ أَبِيهِ حَانًا

(ووافق العشرين من نيسانا) أي يوم ولادته ﷺ وافق بالتاريخ الميلادي اليوم العشرين من شهر نيسان، وهو الذي يسمى إبريل، الشهر الرابع من

(١) ينظر قصة أصحاب الفيل في أول تفسير ابن كثير لسورة الفيل.

الأشهر الميلادية، وكان ذلك عام ٥٧٠ م أو ٥٧١ م، وهو العام ٥٣ ق. هـ. أي قبل الهجرة بثلاث وخمسين سنة.

(وقبله حين أبيه حانا) وقبل ولادته توفي أبوه عبد الله، لما كان النبي ﷺ حملاً في بطن أمه.

قال في مختار الصحاح ص ٨٦ (ح ي ن): ((الْحَيْنُ) بِالْفَتْحِ الْهَلَاكُ وَقَدْ (حَانَ) الرَّجُلُ أَيِ هَلَكَ).

مسألة: في نسبه ﷺ:

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في زاد المعاد ١ / ٧٠: (وهو خير أهل الأرض نسبا على الإطلاق، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك، ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم، فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفخاذ فخذة.

فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

إلى هاهنا معلوم الصحة متفق عليه بين النسابين، ولا خلاف فيه البتة، وما فوق «عدنان» مختلف فيه. ولا خلاف بينهم أن «عدنان» من ولد إسماعيل عليه السلام، وإسماعيل: هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم).

٦- وَبَعْدَ عَامَيْنِ غَدَا فَطِيمَا جَاءَتْ بِهِ مُرْضِعُهُ سَلِيمَا

(وبعد عامين غدا فطيما) أي بعد عامين من ولادة النبي ﷺ صار فطيما، والفظام هو فصل الرضيع عن ثدي أمه.

(جاءت به مرضعه سليما) أي جاءت به مرضعته من ديار بني سعد، سليما: أي سالما في بدنه حسنا في صورته.

٧- حَلِيمَةُ لِأُمِّهِ وَعَادَتْ بِهِ لِأَهْلِهَا كَمَا أَرَادَتْ

حليمة هي بنت أبي ذؤيب، وهي من بني سعد.

واسم أبي رسول الله ﷺ من الرضاعة، يعني زوج حليمة: الحارث بن عبد العزى بن رفاعه بن ملان بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن.

ولكن حليمة رغبت في عودته معها وألحت على أمه لما رأت من الخير والبركة في بقاءه عندها، فأذنت لها أمه، فعادت به معها.

٨- فَبَعْدَ شَهْرَيْنِ انْشَقَّاقُ بَطْنِهِ وَقِيلَ بَعْدَ أَرْبَعِ مِنْ سَنِهِ

أي وبعد مضي شهرين من رجوع حليمة السعدية به إلى أهلها وقعت حادثة شق صدر النبي ﷺ، وقيل: إن هذه الحادثة وقعت بعد أربع سنوات من ولادته عليه الصلاة والسلام.

وحادثة شق الصدر رواها مسلم (١٦٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جَبْرِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِلْقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغُلَمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ

وَهُوَ مُتَنَقِّعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ».

(ثم لأُمّه) أي جمعه وضم بعضه إلى بعض.

(ظنّره) أي مرضعته.

(منتقع اللون) أي متغير اللون.

وقول الناظم: (انشقاق بطنه) المراد صدره، وذكر البطن؛ لأنه يقع اسما لجميع الجوف، ومنه الصدر.

ووقع انشقاق الصدر مرة أخرى ليلة الإسراء والمعراج.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنه، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَاطِمِ، - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الْحِجْرِ - مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدْ قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ - أَيِ مَنْ ثُغْرَةَ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ - فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيَتْ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيْمَانًا، فَعُغِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ . . . الحديث، متفق عليه، رواه البخاري ٣٨٨٧، ومسلم ١٦٤.

قال ابن كثير في السيرة النبوية: (ولا منافاة لاحتمال وقوع ذلك مرتين، مرة وهو صغير، ومرة ليلة الإسراء ليتأهب للوفود إلى الملاء الأعلى، ولمناجاة الرب عز وجل، والمثول بين يديه تبارك وتعالى).

٩- وَبَعْدَ سِتِّ مَعَ شَهْرٍ جَاءَ وَفَاةُ أُمِّهِ عَلَى الْأَبْوَاءِ

أي وبعد ست سنين وشهر من ولادته صلى الله عليه وسلم توفيت أمه آمنة بنت وهب بموضع يقال له الأبواء، بين مكة والمدينة، وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزييره إياهم، فماتت وهي راجعة به إلى مكة.

وروى مسلم (٩٧٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فْزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ».

وروى مسلم (٢٠٣) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «فِي النَّارِ»، فَلَمَّا قَفَى دَعَاهُ، فَقَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ».

وبعد موت أمه بالأبواء قدمت به بركة الحبشية التي كانت رفيقة أمه في رحلتها إلى المدينة، فسلمته إلى جده عبد المطلب، والذي قام بكفالته ورعايته والعطف عليه، والاهتمام بشأنه حتى كان يقال له: يا ابن عبد المطلب.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَعَثَ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ضِمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَدِمَ عَلَيْهِ فَأَنَاحَ بَعِيرُهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، قَالَ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ... الحديث. رواه أبو داود ٤٨٧، وحسنه الألباني.

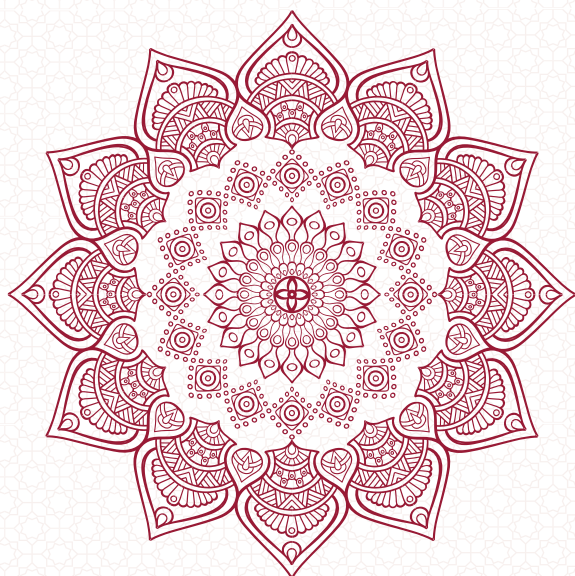
وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ثبت في غزوة حنين كان يقول: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» رواه البخاري ٢٨٦٤، ومسلم ١٧٧٦.

ثم توفي عبد المطلب بعد عامين من وفاة أم النبي صلى الله عليه وسلم، ولذا قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

١٠ - وَجَدَهُ لِلْأَبِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بَعْدَ ثَمَانٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ كَذِبِ

أي أن جد النبي صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه هو عبد المطلب بن هاشم، سيد قومه، والذي كفّل النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أمه، توفي بعد ثمان سنين من ولادة النبي صلى الله عليه وسلم، كما هو المشهور عند أهل السيرة، ولهذا قال الناظم: من كذب.

والحمد لله رب العالمين.



شرح الأرجوزة المئبة في ذكر حال أشرف البرية

لابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

برنامج دليل ١٤٤٧هـ

الدرس الثاني

إن الحمد لله .. أما بعد:

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

١١- ثُمَّ أَبُو طَالِبٍ الْعَمُّ كَفَلَ خِدْمَتَهُ ثُمَّ إِلَى الشَّامِ رَحَلَ

أي ثم بعد وفاة عبد المطلب جد النبي ﷺ، كفله عمه أبو طالب، وكان أبو طالب شقيق عبد الله والد النبي ﷺ، وقيل: إن عبد المطلب أوصى ابنه أبا طالب بكفالة النبي ﷺ ورعايته وتربيته بعد موته.

ثم سافر به عمه أبو طالب إلى الشام، وكان هذا السفر بعد اثني عشر سنة من ولادة النبي ﷺ، ولذا قال الناظم:

١٢- به، وَذَاكَ بَعْدَ عَامِ اثْنِي عَشَرَ وَكَانَ مِنْ أَمْرِ (بَحِيرًا) مَا اشْتَهَرَ

وكان في ذلك السفر من خبر بحيرا ما اشتهر عند أهل السيرة.

وبحيرا: بفتح الباء وكسر الحاء وسكون الياء، وقيل: بضم الباء وفتح الحاء، والألف في آخره مقصورة.

عن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاحٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ هَبَطُوا فَحَلُّوا

رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ». قَالَ: «فَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: مَا عَلِمُكَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ الْعَقَبَةِ لَمْ يَبَقْ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيِّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضُرُوفِ كِتْفِهِ مِثْلَ التُّفَاحَةِ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ وَكَانَ هُوَ فِي رِعْيَةِ الْإِبِلِ، قَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيَّ، فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فِيءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فِيءِ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَنْظِرُوا إِلَيَّ فِيءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لَا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ، فَإِنَّ الرُّومَ إِنْ رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا بِسَبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: جِئْنَا، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأُنَاسٍ وَإِنَّا قَدْ أَخْبَرْنَا خَبْرَهُ فَبُعِثْنَا إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا، فَقَالَ: هَلْ خَلَفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ؟ قَالُوا: إِنَّمَا أَخْبَرْنَا خَبْرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذَا. قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدُّهُ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَبَايَعُوهُ وَأَقَامُوا مَعَهُ قَالَ: أَنْشِدْكُمْ بِاللَّهِ أَتَيْكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالٍ وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الْكَعْكَ وَالزَّيْتِ» رواه الترمذي ٣٦٢٠، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ»

قال الذهبي في السيرة النبوية من تاريخ الإسلام ٥٠٣/١: (وهو حديث منكر جدا؛ وأين كان أبو بكر؟ كان ابن عشر سنين، فإنه أصغر من رسول الله ﷺ بسنتين ونصف؛ وأين كان بلال في هذا الوقت؟ فإن أبا بكر لم يشتره إلا بعد المبعث، ولم يكن ولد بعد ...)

لكن ذهب جماعة من أهل العلم إلى ثبوت هذه الحادثة، مع استنكار بعض ألفاظها.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٧١٦ / ٨ عند كلامه على دلائل النبوة: (أول ذلك مطلقاً ما سمعته من بحيرا الراهب وهو عند الترمذي بإسناد قوي عن أبي موسى).

وقال أيضاً في الإصابة ٤٧٦ / ١: (وقد وردت هذه القصة بإسناد رجاله ثقات من حديث أبي موسى الأشعري أخرجهما الترمذي وغيره، ولم يسم فيها الراهب، وزاد فيها لفظة منكراً، وهي قوله: وأتبعه أبو بكر بلالا، وسبب نكارتها أن أبا بكر حينئذ لم يكن متأهلاً، ولا اشترى يومئذ بلالا. إلا أن يحمل على أن هذه الجملة الأخيرة مقتطعة من حديث آخر أدرجت في هذا الحديث. وفي الجملة هي وهم من أحد رواته).

وقال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح، لكن ذكر بلال فيه منكر.

١٣- وَسَارَ نَحْوُ الشَّامِ أَشْرَفُ الْوَرَى فِي عَامِ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ أَذْكُرَا

١٤- لِأَمْنَا خَدِيجَةَ مُتَّجِرًا وَعَادَ فِيهِ رَابِحًا مُسْتَبْشِرًا

أي ولما بلغ النبي ﷺ الخامسة والعشرين من عمره سافر إلى الشام في تجارة لخديجة ؓ، على وجه المضاربة، فالمال من خديجة ؓ والعمل من النبي ﷺ، وعاد في ذلك العام من تجارته رابحاً مستبشراً.

وقوله (أشرف الورى) أي أشرف الخلق، وأفضلهم.

وقوله: (اذكرا) أي اذكر هذه الحادثة، والألف في آخر الكلمة للإطلاق.

وقوله: (لأمنا خديجة) هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، فتلتقي في النسب مع النبي ﷺ في قصي بن

كلاب، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

وَنَوَّنَ (خديجة) لضرورة الشعر، وإلا فهو اسم ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث.

١٥- فَكَانَ فِيهِ عَقْدُهُ عَلَيْهَا وَبَعْدَهُ إِفْضَاؤُهُ إِلَيْهَا

أي فكان في ذلك العام الذي رجع فيه النبي ﷺ من تجارته لخديجة رضي الله عنها، عقد النكاح عليها، وكان عمره خمسةً وعشرين سنة، (وبعده) ثم بعد ذلك (إفضاؤه إليها) أي دخوله بها.

وقال البلاذري في أنساب الأشراف ٩٨ / ١: (وتزوج رسول الله ﷺ خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي ابنة أربعين سنة. وذلك الثبت عند العلماء. ويقال إنه تزوجها وهي ابنة ست وأربعين سنة، وهو ابن خمس وعشرين سنة. ويقال: تزوجها وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وهي ابنة ثمان وعشرين سنة).

١٦- وَوُلْدُهُ مِنْهَا خَلَاَ إِبْرَاهِيمَ فَلَأَوَّلُ الْقَاسِمِ حَارَ التَّكْرِيمِ

١٧- وَزَيْنَبُ رُقِيَّةٌ وَفَاطِمَةٌ وَأُمُّ كُلْثُومٍ لَهْنٌ خَاتِمَةٌ

١٨- وَالطَّيِّبُ الطَّاهِرُ عَبْدُ اللَّهِ وَقِيلَ كُلُّ اسْمٍ لِفَرْدٍ زَاهِي

١٩- وَالْكُلُّ فِي حَيَاتِهِ ذَاقُوا الْحِمَامَ وَبَعْدَهُ فَاطِمَةٌ يَنْصِفُ عَامٌ

في هذه الأبيات ذكر الناظم أولاد النبي ﷺ، وكلهم من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها سوى إبراهيم فإنه من سُرَّيته مارية القبطية رضي الله عنها.

وهذا بالإجماع، فقد حكى أبو السعادات ابن الأثير في جامع الأصول ١٠٧/١٢ إجماع العلماء على أن جميع أولاده ﷺ من خديجة رضي الله عنها غير إبراهيم فإنه من مارية رضي الله عنها.

روى البخاري ٣٨١٨ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرَبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَغْضَاءً، ثُمَّ يَبْعُثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرَبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ «إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَتْ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»

ومعنى (كانت وكانت) أي يذكر صفاتها وفضائلها رضي الله عنها.

وقوله: (وَوُلْدُهُ) الولد اسم يجمع الواحد والكثير والذكر والأنثى، وَوَلَدُ الرجل وَوُلْدُهُ بمعنى واحد، وقد يكون الولد جمع الولد، مثل أُسْد جمع أَسَد^(١).

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ١٤/١٢٥، والصحاح للجوهري ٢/٥٥٣، ٥٥٤.

وأولاده سبعة عليه السلام، ثلاثة أبناء، وأربع بنات، وهم كما ذكرهم الناظم:

١- القاسم، وهو أول أبنائه، قال الناظم (فالأول القاسم حاز التكريم) وذلك بأن تكنى به النبي عليه السلام، فهو أبو القاسم عليه الصلاة والسلام.

قال القرطبي في المفهم ٦/ ٣١٣: (وأجمعوا أنها - أي خديجة عليها السلام - ولدت له ابناً يُسمّى: القاسم، وبه كان يكنى ... ومات القاسم بمكة صغيراً. قيل: إنه بلغ إلى أن مشى، وقيل: لم يعيش إلا أياماً يسيرة).

٢- زينب عليها السلام، وهي أكبر بناته عليها السلام، تزوجها أبو العاص بن الربيع عليه السلام.

٣- رُقِيّة، تزوجها عثمان عليه السلام.

٤- فاطمة، تزوجها علي عليه السلام.

٥- أم كلثوم، تزوجها عثمان بعد وفاة رقية عليها السلام.

قال القرطبي في المفهم ٦/ ٣١٣: (وأجمع أهل النقل: أنها ولدت له أربع بنات كلهن أدركن الإسلام، وأسلمن، وهاجرن: زينب، وفاطمة، ورقية، وأم كلثوم. وأجمعوا أنها ولدت له ابناً يُسمّى: القاسم، وبه كان يكنى)

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/ ١٨٩٣: (والذي تسكن إليه النفس على ما تواترت به الأخبار في ترتيب بنات رسول الله عليه السلام أن زينب الأولى، ثم الثانية رقية، ثم الثالثة أم كلثوم، ثم الرابعة فاطمة الزهراء).

٦- عبد الله، ويسمى الطيب والطاهر، اسمان لعبد الله، وقيل: كل اسم من هذه الثلاثة وهي عبد الله والطيب والطاهر (لفرد) أي اسم لولد، فيكونون ثلاثة أولاد، (زاهي) أي حسن المنظر.

٧- إبراهيم: وهو أصغرهم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةُ غُلَامًا، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ» رواه مسلم ٢٣١٥.

وتوفي صغيرا، ولما مات قال النبي ﷺ: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبَّنَا، وَاللَّهُ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ» رواه مسلم ٢٣١٥.

وعن البراء رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا تُوفِّيَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لَهُ مُرَضِعًا فِي الْجَنَّةِ» رواه البخاري ١٣٨٢.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، قَالَ: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيَدَّخُنْ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيَقْبَلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ» قَالَ عَمْرُو: فَلَمَّا تُوفِّيَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدِيِّ وَإِنَّ لَهُ لَظْئَرَيْنِ تَكْمَلَانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ» رواه مسلم ٢٣١٦.

(وإنه مات في الثدي) معناه مات وهو في سن رضاع الثدي أو في حال تغذية بلبن الثدي (وإن له لظئرين) الظئر هي المرضعة ولد غيرها، ومعنى (تكملان رضاعه في الجنة) أي تتمانه سنتين فإنه توفي وله ستة عشر شهرا أو سبعة عشر فترضاعه ببقية السنتين فإنه تمام الرضاعة بنص القرآن ﴿وَاللَّهُ يَرْضَاهُ خَيْرًا مِنْ الرِّضَاعِ﴾.

ثم قال الناظم: (والكل في حياته ذاقوا الحمام) أي كلهم ماتوا في حياة النبي ﷺ، إلا فاطمة رضي الله عنها، والحمام: قَدَّرَ الْمَوْتَ ^(٢).

(١) ينظر: شرح مسلم للنووي ٧٦/١٥.

(٢) مختار الصحاح (ح م م).

وبعد وفاة النبي ﷺ بنصف عام أي ستة أشهر توفيت ابنته فاطمة رضي الله عنها، في السنة الحادية عشرة من الهجرة.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها أخبرت أن فاطمة رضي الله عنها (عاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر)، رواه البخاري ٣٠٩٣، ومسلم ١٧٥٩.

فائدة:

روى ابن السني في عمل اليوم والليلة ٤١٧ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أَسْقَطُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكُنَّانِي بِأُمِّ عَبْدِ اللَّهِ».

قال عنه ابن الجوزي في الموضوعات ٩/٢: (هَذَا حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ).

وقال ابن القيم في تحفة المودود ص ١٣٤: (وَأَذِنَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَائِشَةَ أَنْ تُكْنِيَ بِأُمِّ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهَا أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، لَا الْحَدِيثَ الَّذِي رُوِيَ أَنَّهَا أَسْقَطَتْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ سَقَطًا فَسَمَّاهُ عَبْدُ اللَّهِ وَكُنَّاها بِهِ، فَإِنَّهُ حَدِيثٌ لَا يَصَحُّ).

٢٠ - وَبَعْدَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ حَضَرَ بُنْيَانَ بَيْتِ اللَّهِ لَمَّا أَنْ دَثَرَ

أي وبعد خمس وثلاثين سنة من ميلاده ﷺ حضر عليه الصلاة والسلام بنيان الكعبة المشرفة بعد أن انهدمت، ومعنى (دَثَرَ) أي دَرَسَ.

٢١ - وَحَكَّمُوهُ وَرَضُوا بِمَا حَكَّمَ فِي وَضْعِ ذَاكَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ثُمَّ

فحكّمه قريش في مَنْ يَضَعُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِي مَكَانِهِ الْمَعْرُوفِ، وَرَضُوا بِحُكْمِهِ فِي ذَلِكَ.

وقوله: (ثُمَّ) ظرف مكان، أي هناك، في مكانه الموجود فيه الآن.

ويدل لهذه الحادثة عدة أحاديث، منها:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا بُنِيَتِ الْكَعْبَةُ، ذَهَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَعَبَّاسٌ يُنْقِلَانِ الْحِجَارَةَ، فَقَالَ عَبَّاسٌ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ يَقِيكَ مِنَ الْحِجَارَةِ، فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: «إِزَارِي إِزَارِي فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ» رواه البخاري ٣٨٢٩، ومسلم ٣٤٠.

(طمحت) ارتفعت (إزاري إزاري) أعطوني إياه.

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ فِي مَنْ بَنَى الْبَيْتَ ... وَإِنَّ قُرَيْشًا اخْتَلَفُوا فِي الْحَجَرِ حِينَ أَرَادُوا أَنْ يَضَعُوهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ بِالسُّيُوفِ، فَقَالَ: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ أَوَّلَ رَجُلٍ يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: هَذَا الْأَمِينُ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْأَمِينِ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ رَضِينَا بِكَ، فَدَعَا بِثَوْبٍ فَبَسَطَهُ وَوَضَعَ الْحَجَرَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ لِهَذَا الْبَطْنِ، وَلِهَذَا الْبَطْنِ - غَيْرَ أَنَّهُ سَمَّى بَطُونًا -: لِيَأْخُذَ كُلُّ بَطْنٍ مِنْكُمْ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ، فَفَعَلُوا، ثُمَّ رَفَعُوهُ، وَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَوَضَعَهُ بِيَدِهِ. رواه الإمام أحمد ١٥٥٠٤، والحاكم ١٦٨٣، واللفظ له، وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَلَهُ شَاهِدٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِ»، وقال محققو المسند: إسناده صحيح. وذكره الألباني في صحيح السيرة النبوية ص ٤٥.

وروى عبد الرزاق ٩١٠٦ في المصنف عن أبي الطفيل في قصة بناء قريش الكعبة قال: (وَكَانَ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَبَيْنَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَمْسُ سِنِينَ)، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام ١/ ٥١٤: هذا حديث صحيح.

٢٢ - وَبَعْدَ عَامٍ أَرْبَعِينَ أُرْسِلَا فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ يَقِينًا فَاُنْقَلَا
٢٣ - فِي رَمَضَانَ أَوْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَسُورَةُ اقْرَأْ أَوَّلَ الْمُنَزَّلِ

أي وبعد مضي أربعين عاما من مولد النبي ﷺ أرسله الله عز وجل إلى الناس كافة، والألف في «أرسلا» للإطلاق.

فعن أنس رضي الله عنه في وصفه النبي ﷺ قال: (أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ، فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ (١) يُنْزَلُ عَلَيْهِ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ) رواه البخاري ٣٥٤٧، ومسلم ٢٣٤٧، ولفظ مسلم: (بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً).

وكان مبعثه في يوم الاثنين، فقد روى مسلم (١١٦٢) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الْاِثْنَيْنِ؟ فَقَالَ: «فِيهِ وُلِدْتُ، وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ»، وفي لفظ له: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ - أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ -».

وقد حكى ابن كثير أنه لا خلاف بين العلماء في أنه عليه الصلاة والسلام أوحى إليه يوم الاثنين (٢).

وكانت بعثته ﷺ في شهر رمضان، أو في شهر ربيع الأول، على قولين لأهل السيرة.

وذكر ابن كثير (٣) أن المشهور أنه بعث عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان، واستدل لهذا القول بقول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾

(١) أي بعد الأمر بالجهر بالدعوة وبعد أن حمى الوحي وتتابع.

(٢) ينظر: السيرة النبوية ١/ ٣٩٢.

(٣) ينظر: السيرة النبوية ١/ ٣٩٢.

واستدل للقول الثاني بما روى ابن أبي شيبة عن جابر وابن عباس رضي الله عنهما قالوا: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات. لكن قال ابن كثير ٩٣ / ٢ بعده: فيه انقطاع.

قال الحافظ في الفتح ٩ / ٤: (فيمكن أن يجمع بينه وبين المشهور بوجه آخر وهو أنه بعث على رأس الأربعين، فكانت مدة وحي المنام ستة أشهر إلى أن نزل عليه الملك في شهر رمضان).

وأول ما أنزل الله تعالى عليه الخمس الآيات الأولى من سورة اقرأ، قال الله تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم).

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أول ما بُدِيَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبَّ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي أُولَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فُجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ ... رواه البخاري ٦٩٨٢، ومسلم ١٦٠.

وأما ما رواه عن أبي سَلَمَةَ قَالَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ أَوَّلُ؟ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾... رواه البخاري ٤٩٢٤، ومسلم ١٦١.

فأجيب عنه بأن سورة المدثر هي أول ما نزل على النبي ﷺ بعد فترة الوحي، ويدل لذلك ما جاء في رواية عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجِئْتُ مِنْهُ رُغْبًا، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ إِلَى ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾. رواه البخاري ٤٩٢٥، ومسلم ١٦١، زاد مسلم (ثم تتابع الوحي).

(فجئت) أي فزعت ورعبت.

ويمكن أن يحمل قول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أن ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ هي أول ما نزل للرسالة، أما أول ما نزل للنبوة فهي ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾.

٢٤ - ثُمَّ الْوُضُوءُ وَالصَّلَاةُ عَلَّمَهُ جِبْرِيلُ وَهِيَ رَكْعَتَانِ مُحْكَمَةٌ

أي ثم بعد نزول الوحي عليه علم جبريل عليه السلام النبي ﷺ الوضوء والصلاة.

قال ابن بطال في شرحه على البخاري ٤٦٩/١: (معلوم عند جميع أهل السير أن الصلاة فرضت بمكة، والغسل من الجنابة، وأنه لم يصل قط إلا بوضوء مثل وضوئه بالمدينة، ونزلت آية الوضوء، ليكون فرضها التقدم متلواً في التنزيل).

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَاهُ فِي أَوَّلِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ، فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْوُضُوءِ، أَخَذَ عَرْفَةً مِنْ مَاءٍ، فَنَضَحَ بِهَا فَرْجَهُ» رواه الإمام أحمد ١٧٤٨٠، وانظر الصحيحة ٨٤١.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إِنْ الْمَلَأَ مِنْ قَرِيشٍ اجْتَمَعُوا فِي الْحَجَرِ، فَتَعَاقَدُوا بِالسَّلَاتِ وَالْعُزَى وَمِنَاةَ الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَى وَنَائِلَةَ وَإِسَافٍ: لَوْ قَدْ رَأَيْنَا مُحَمَّدًا لَقَدْ قَمْنَا إِلَيْهِ قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَلَمْ نَفَارِقْهُ حَتَّى نَقْتَلَهُ، فَأَقْبَلَتْ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ تَبْكِي، حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَتْ: هَؤُلَاءِ الْمَلَأُ مِنْ قَرِيشٍ قَدْ تَعَاقَدُوا عَلَيْكَ، لَوْ قَدْ رَأَوْكَ لَقَدْ قَامُوا إِلَيْكَ فَقَتَلُوكَ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا قَدْ عَرَفَ نَصِيْبَهُ مِنْ دَمِكَ، فَقَالَ: «يَا بُنَيَّةُ، أَرِنِي وَضُوءًا»، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَا هُوَ ذَا، وَخَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ، وَسَقَطَتْ أَذْقَانُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَعَقَرُوا فِي مَجَالِسِهِمْ، فَلَمْ يَرْفَعُوا إِلَيْهِ بَصَرًا، وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى قَامَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، فَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، ثُمَّ حَصَبَهُمْ بِهَا، فَمَا أَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْحَصَى حِصَاةً إِلَّا قَتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا. رواه الإمام أحمد ٢٧٦٢، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

قال ابن رجب في فتح الباري ٢/ ٣٠٤: (والأحاديث الدالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة قبل الإسراء كثيرة).

وأول ما أنزل عليه سورة: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وفي آخرها: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَأَسْجُدْ وَأَقْتَرِبْ﴾.

وقد نزلت هذه الآيات بسبب قول أبي جهل: لئن رأيت محمدا ساجدا عند البيت لأطأن على عنقه.

فصلاته ﷺ قبل الإسراء ثابتة، لكن اختلف أهل العلم في صفة الصلاة قبل الإسراء، فقليل: ركعتان ركعتان، وقيل غير ذلك.

ثم فرضت عليه الصلوات الخمس ليلة الإسراء والمعراج.
والحمد لله رب العالمين.

شرح الأرجوزة المنيّة في ذكر حال أشرف البرية

لابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

برنامج دليل ١٤٤٧هـ

الدرس الثالث

إن الحمد لله .. أما بعد:

فيقول الناظم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٢٥- ثُمَّ مَضَتْ عَشْرُونَ يَوْمًا كَامِلَةً فَرَمَتِ الْجِنَّ نُجُومًا هَائِلَةً

أي ثم بعد مضي عشرين يوما من مبعث النبي ﷺ رُميت الجنُّ بالنجوم أي
بالشهب الهائلة أي المحرقة.

و (الجنّ) مفعول به مقدّم (نجومٌ) فاعل مؤخر.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ
عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ
عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا حَالُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ
السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا
الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تَهَامَةٍ
إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ بِنَحْلَةٍ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ
الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ
خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهَذَا لِكَيْ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا

قُرْءَانًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ② ﴿[الجن: ٢]، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١] وَإِنَّمَا أَوْحِي إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ﴾ رواه البخاري ٧٧٣، ومسلم ٤٤٩.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ الْجِنُّ يَصْعَدُونَ إِلَى السَّمَاءِ يَسْتَمِعُونَ الْوَحْيَ، فَإِذَا سَمِعُوا الْكَلِمَةَ زَادُوا فِيهَا تِسْعًا، فَأَمَّا الْكَلِمَةُ فَتَكُونُ حَقًّا، وَأَمَّا مَا زَادُوهُ فَيَكُونُ بَاطِلًا، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنِعُوا مَقَاعِدَهُمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِإِبْلِيسَ، وَلَمْ تَكُنِ النُّجُومُ يُرْمَى بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ: مَا هَذَا إِلَّا مِنْ أَمْرٍ قَدْ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ، فَبَعَثَ جُنُودَهُ فَوَجَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا يُصَلِّي بَيْنَ جَبَلَيْنِ أَرَاهُ قَالَ: بِمَكَّةَ، فَلَقُوهُ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي حَدَثَ فِي الْأَرْضِ» رواه الترمذي ٣٣٢٤، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وصححه الألباني.

واستراق السمع من قبل الشياطين له ثلاثة أحوال:

- ١- قبل بعثة النبي ﷺ كان استراق السمع كثيراً جداً، وكان شأن الكهنة عظيمًا، وكان في كل حي من أحياء العرب كاهن يرجعون إليه ويتحاكمون إليه.
- ٢- بعد بعثته ﷺ حُرست السماء من استراق السمع وامتنع ذلك على الشياطين، - إلا في النادر^(١) -؛ لئلا يقع الاشتباه في أصل الوحي والنبوة؛ لأن ذلك الوقت هو وقت نزول القرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ⑧﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسْمِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا ⑨﴾ [الجن: ٨-٩] وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]

(١) وهذا النادر إن حصل فهو في غير الوحي.

فملئت السماء حرساً شديداً وشهباً حتى إذا بُلغ الوحي للنبي ﷺ وُسُمع الوحي في السماء فإنهم لا يخطفونه، حتى لا تقع الفتنة من جهة الوحي، فلم يخطفوا شيئاً من الوحي الذي أوحاه الله عز وجل لنبيه ﷺ.

٣- بعد وفاة النبي ﷺ عظم استراقهم للسمع، ولكن دون ما كان عليه قبل البعثة، وفوق ما كان عليه أثناء البعثة^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في الجواب الصحيح ٣٥٣/٥-٣٥٥: (وقد تواترت الأخبار بأنه حين المبعث كثر الرمي بالشهب، وهذا أمر خارق للعادة، حتى خاف بعض الناس أن يكون ذلك لخراب العالم، حتى نظروا هل الرمي بالكواكب التي في الفلك أم الرمي بالشهب؟ فلما رأوا أنه بالشهب، علموا أنه لأمر حدث. وأرسلت الجن تطلب سبب ذلك، حتى سمعت القرآن، فعلموا أنه كان لأجل ذلك. وهذا من أعلام النبوة ودلائلها. وقبل زمان البعث وبعده، كان الرمي خفيفاً، لم تمتلئ به السماء كما ملئت حين نزول القرآن).

وأما كون رمي الجن بالشهب بعد عشرين يوماً من البعثة فقد ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ٣٦/١ فقال: (قال العلماء بالسير: رأت قریش النجوم يرمى بها بعد عشرين يوماً من مبعث رسول الله ﷺ) والله أعلم.

٢٦- ثُمَّ دَعَا فِي أَرْبَعِ الْأَعْوَامِ بِالْأَمْرِ جَهْرَةً إِلَى الْإِسْلَامِ

أي ثم بعد مضي ثلاثة أعوام من بعثة النبي ﷺ كان يدعو فيها إلى الإسلام دعوة سرية، فلما كان العام الرابع من البعثة أمره الله عز وجل بالدعوة الجهرية إلى الإسلام، وأنزل الله عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فجهر ﷺ لقومه بالدعوة.

(١) ينظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص ٣١٨.

ويدل له أيضا قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾. فمراد الناظم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أن بدء الدعوة الجهرية كان في أول العام الرابع من البعثة، وليس مراده أن الدعوة الجهرية كانت في الأعوام الأربعة الأولى من البعثة.

- ٢٧ - وَأَرْبَعٌ مِنَ النِّسَاءِ وَاثْنَا عَشَرَ مِنَ الرِّجَالِ الصَّحْبِ كُلُّ قَدْ هَجَرَ
 ٢٨ - إِلَى بِلَادِ الْحُبَشِ فِي خَامِسِ عَامٍ وَفِيهِ عَادُوا ثُمَّ عَادُوا لَا مَلَامَ
 ٢٩ - ثَلَاثَةٌ هُمْ وَثَمَانُونَ رَجُلٌ وَمَعَهُمْ جَمَاعَةٌ حَتَّى كُمَلُ
 ٣٠ - وَهُنَّ عَشْرٌ وَثَمَانٍ ثُمَّ قَدْ أَسْلَمَ فِي السَّادِسِ حَمْرَةُ الْأَسَدِ

هذه الأبيات ذكر فيها الناظم حادثة الهجرتين إلى الحبشة، وفي آخرها ذكر إسلام حمزة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أما الهجرة الأولى إلى الحبشة فقد كانت في السنة الخامسة من بعثة النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لما عظم الأذى من كفار قريش للمسلمين أمرهم النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يهاجروا إلى الحبشة فرارا بدينهم، وكان عددهم أربع نساء، واثنى عشر رجلا، والنساء هن: رقية بنت رسول الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وسهلة بنت سهيل، وأم سلمة، ولىلى العدوية رضي الله عنهن، وكلهن من الصحابات السابقات إلى الإسلام.

واثنا عشر رجلا من الصحابة السابقين إلى الإسلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والهجرة هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام.

وقوله: (بلاد الحبش) أي إلى الحبشة، وهي ما يعرف الآن بأثيوبيا وأرتيريا.

وعاد هؤلاء المهاجرون إلى مكة في العام الخامس لما بلغهم إسلام قريش، فلما قربوا منها تبين لهم أن الخبر باطل، فمنهم من دخل مكة، ومنهم من رجع إلى الحبشة.

وأما الهجرة الثانية إلى الحبشة فكان عدد الصحابة رضي الله عنهم ثلاثة وثمانين رجلاً، وثمانى عشرة امرأة.

وقوله: (ثم قد أسلم في السادس حمزة الأسد)

أي أنه في العام السادس من بعثة النبي ﷺ أسلم عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، سيد الشهداء، وأخو النبي ﷺ من الرضاعة، وهو أسد الله، وأسد رسوله ﷺ.

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: فَقَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ حَمْزَةَ حِينَ فَاءَ النَّاسِ مِنَ الْقِتَالِ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: رَأَيْتُهُ عِنْدَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ لِأَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ، وَأَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ مِنْ انْهِزَامِهِمْ، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَحْوَهُ، فَلَمَّا رَأَى جَبْهَتَهُ بَكَى، وَلَمَّا رَأَى مَا مِثْلَ بِهِ شَهِقَ ثُمَّ قَالَ: «أَلَا كُفِّنْ؟» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَرَمَى بِثَوْبٍ، قَالَ جَابِرٌ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَمْزَةُ» رواه الحاكم ٤٩٠٠، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ووافقه الذهبي.

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَالَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاةً فَقَتَلَهُ» رواه الحاكم ٤٨٨٤، وقال: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وذكره الألباني في الصحيحة ٣٧٤.

٣١ - وَبَعْدَ تِسْعٍ مِنْ سِنِي رَسُولِهِ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ ذُو كَفَالَتِهِ

أي وبعد تسع سنين من بعثة النبي ﷺ مات عمه أبو طالب الذي كفل النبي ﷺ بعد جده عبد المطلب، وكان ينصره ويحوطه.

وقوله: (مات أبو طالب) بدون تنوين الباء؛ لضرورة الشعر، لئلا ينكسر البيت.
 روى البيهقي في دلائل النبوة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَا زَالَتْ قُرَيْشٌ كَاعَةٌ عَنِّي حَتَّى تُوفِّيَ أَبُو طَالِبٍ».

وكاعة جمع كاع، وهو الجبان.

٣٢ - وَبَعْدَهُ خَدِيجَةُ تُوفِّيَتْ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ ثَلَاثَةٍ مَضَتْ

ثم بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام توفيت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وعمرها خمس وستون سنة.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٤ / ١٨٨١: (وَكَانَ مَوْتُ خَدِيجَةَ قَبْلَ مَخْرَجِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرًا بِثَلَاثِ سِنِينَ. هَذَا أَوْلَى مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ وَأَصَحُّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَقَدْ قِيلَ فِي مَوْتِ خَدِيجَةَ: إِنَّهُ كَانَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِخَمْسِ سِنِينَ. وَقِيلَ: بِأَرْبَعٍ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فِي بَابِهَا).

وعن عروة بن الزبير رحمه الله تعالى قال: «تُوفِّيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، فَلَبِثَ سَنَتَيْنِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، وَنَكَحَ عَائِشَةُ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ بَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ» رواه البخاري ٣٨٩٦.

قال الحافظ في الفتح ٧ / ٢٢٤: (هذا صورته مرسل لكنه لما كان من رواية عروة مع كثرة خبرته بأحوال عائشة يحمل على أنه حملة عنها).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «أَتَى جَبْرِيلُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ» رواه البخاري ٣٨٢٠، ومسلم ٢٤٣٢.

٣٣ - وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَرُبْعٍ أَسْلَمَا جَنَّ نَصِيبِينَ وَعَادُوا فَأَعْلَمَا

أي وبعد مضي خمسين سنة من ميلاد النبي ﷺ (وربع) أي ثلاثة أشهر، أسلم جن بلدة نصيبين، وهي بلدة في تركيا، قريبة من حدود سورية، ثم عاد هؤلاء الجن منذرين إلى قومهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِدَاوَةً لَوْضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْبَعُهُ بِهَا، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» فَقَالَ: أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: «ابْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَفِضُّ بِهَا، وَلَا تَأْتِنِي بَعْظُمٌ وَلَا بَرَوُثَةٌ». فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمِلُهَا فِي طَرَفِ ثَوْبِي، حَتَّى وَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مَشَيْتُ، فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْعِظْمِ وَالرَّوْثَةِ؟ قَالَ: «هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجِنِّ، وَإِنَّهُ أَتَانِي وَفَدَّ جَنَّ نَصِيبِينَ، وَنَعِمَ الْجِنُّ، فَسَأَلُونِي الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمُرُّوا بِعِظْمٍ، وَلَا بِرِوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا» رواه البخاري ٣٨٦٠.

وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ١٧١ / ٧ تعدد وفود الجن على النبي ﷺ فأما ما وقع في مكة فكان لاستماع القرآن والرجوع إلى قومهم منذرين كما وقع في القرآن وأما في المدينة فللسؤال عن الأحكام.

٣٤ - ثُمَّ عَلَى سَوْدَةَ أَمْضَى عَقْدَهُ فِي رَمَضَانَ ثُمَّ كَانَ بَعْدَهُ

٣٥ - عَقْدُ ابْنَةِ الصَّدِيقِ فِي شَوَّالٍ، وَبَعْدَ خَمْسِينَ وَعَامٍ تَالٍ

٣٦ - أُسْرِي بِهِ وَالصَّلَوَاتُ فُرِضَتْ خَمْسًا بِخَمْسِينَ كَمَا قَدْ حُفِظَتْ

في هذه الآيات ثلاث حوادث من سيرته ﷺ:

الأولى: زواجه ﷺ بأم المؤمنين سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي سودة بنت زمعة القرشية، عقد عليها في رمضان من العام العاشر من البعثة، وهي يومئذ في الخامسة والخمسين من عمرها، وهي أول من دخل بها بعد خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمتها ٤ / ١٨٦٧: (ولا خلاف أنه لم يتزوجها إلا بعد موت خديجة، وكانت قبل ذلك تحت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو، من بني عامر بن لؤي).

الثانية: زواجه ﷺ بأم المؤمنين عائشة ؓ، وكان بعد عقده على سودة ؓ، وقال بعضهم: عقد على عائشة ؓ أولاً، ثم على عقد على سودة ؓ، ثم دخل بها في مكة، وأما دخوله على عائشة ؓ فكان بعد ذلك بالمدينة.

وعن عروة بن الزبير رحمه الله تعالى قال: «تُوِفِّتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَخْرَجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، فَلَبِثَ سَتَيْنِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، وَنَكَحَ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ بَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ» رواه البخاري ٣٨٩٦.

ومعنى (نكح) أي عقدَ عقدَ زواجه عليها. (بنى بها) أي دخل بها.

وعن عائشة ؓ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لَهَا: «أَرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ، أَرَى أَنَّكَ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، وَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَاكْشِفْ عَنْهَا، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمَضِّهِ» رواه البخاري ٣٨٩٥، ومسلم ٢٤٣٨.

(سرقه) قطعة حرير جيد.

الثالثة: الإسراء والمعراج، فبعد مضي خمسين سنة من ميلاد النبي ﷺ، ودخول العام الواحد والخمسين (وعام تالٍ أي تالٍ للواحد والخمسين، والمراد في العام الثاني والخمسين من ميلاده ﷺ، وهو العام الثاني عشر من بعثته ﷺ، أُسْرِيَ بالنبي ﷺ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرج به إلى السماء.

وفرضت عليه الصلوات الخمس في تلك الليلة في السماء، وهي خمس صلوات في العدد، وخمسون في الثواب، كما حفظت بذلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ، يُحَدِّثُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَرَجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَتَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِحَاظِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ»، قَالَ: فَأَرْسَلْ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَفَتَحَ، قَالَ: فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوَدَةٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوَدَةٌ، قَالَ: فَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى، قَالَ: فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ «، قَالَ: «قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ عليه السلام، وَهَذِهِ الْأَسْوَدَةُ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوَدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قَبْلَ شِمَالِهِ بَكَى»، قَالَ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ لِحَاظِنِهَا: افْتَحْ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ خَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: فَفَتَحَ»، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَاوَاتِ آدَمَ، وَإِدْرِيسَ، وَعِيسَى، وَمُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَلَمْ يُثَبِّتْ كَيْفَ مَنَازِلَهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قَالَ: فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِإِدْرِيسَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ، قَالَ: «ثُمَّ مَرَّ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ»، قَالَ: «قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى»، قَالَ: «ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»، قَالَ: «ثُمَّ مَرَرْتُ

بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: مَرَحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالْإِبْنِ الصَّالِحِ، قَالَ: «قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ»، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ، وَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَأَبَا حَبَةَ الْأَنْصَارِيِّ، يَقُولَانِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ»، قَالَ ابْنُ حَزْمٍ، وَأَنْسُ بَنُ مَالِكٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً»، قَالَ: فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أُمِرَ بِمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ لِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَارْجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ: فَارْجَعْتُ رَبِّي، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، قَالَ: فَارْجَعْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ: فَارْجَعْتُ رَبِّي، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ، قَالَ: فَارْجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتَيْ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَعَشِيهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ؟ قَالَ: ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِدُ اللَّوْؤُ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ. رواه البخاري ٣٤٩، ومسلم ١٦٣.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَفُرَيْشٍ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلْتُنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»، قَالَ: «فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ...» رواه مسلم ١٧٢.

(لم أثبتتها) أي لم أحفظها ولم أضبطها لا شتغالي بأهم منها (فكربت كربة ما كربت مثله قط) الضمير في مثله يعود على معنى الكربة وهو الكرب أو الغم أو الهم أو الشيء.

٣٧- وَالْبَيْعَةُ الْأُولَى مَعَ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ طَيْبَةَ كَمَا قَدْ ذُكِرَا

هذا البيت في ذكر بيعة العقبة الأولى، وكانت في السنة الثانية عشرة من البعثة، وهي أن اثنا عشر رجلا من الأوس والخزرج من أهل طيبة، وهي المدينة بايعوا النبي ﷺ، أي عاهدوه على نصره ومؤازرته.

وأما بيعة العقبة الثانية فكانت بعد البيعة الأولى بعام، أي في السنة الثالثة عشرة من البعثة، ولهذا قال الناظم:

٣٨- وَبَعْدَ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ أَتَى سَبْعُونَ فِي الْمَوْسِمِ هَذَا ثَبَتَا

أي وبعد ثنتين وخمسين سنة من ميلاده ﷺ وهي السنة الثالثة والخمسون من ميلاده ﷺ، أي السنة الثالثة عشرة من البعثة، أتى سبعون رجلا من الأوس والخزرج في موسم الحج من طيبة التي هي المدينة، فبايعوا رسول الله ﷺ.

٣٩- مِنْ طَيْبَةِ فَبَايَعُوا ثُمَّ هَجَرُوا مَكَّةَ يَوْمَ اثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ

أي وبعد بيعة العقبة الثانية هاجر رسول الله ﷺ من مكة المكرمة لشدة عداوة قريش له ﷺ، ولأصحابه ﷺ، وذلك في يوم الاثنين من شهر صفر للعام الثالث عشر من البعثة.

٤٠- فَجَاءَ طَيْبَةَ الرِّضَا يَقِينَا إِذْ كَمَلَ الثَّلَاثَ وَالْخُمْسِينَ

أي وصل إلى طيبة وهي المدينة رسول الله ﷺ و (الرضا) وصف له ﷺ، لكمال الرضا منه وبه عليه الصلاة والسلام.

(يقينا) أي هذا أمر متيقن، وهو قدومه المدينة مهاجرا.

وكان عمره ﷺ آنذاك ثلاثا وخمسين سنة.

٤١ - فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ وَدَامَ فِيهَا عَشْرَ سِنِينَ كُمَّلاً نَحْكِيهَا

أي وكان يوم دخوله المدينة يوم الاثنين، وأقام فيها عشر سنين بعدما هاجر إليها.

(كُمَّلاً) أي كاملة (نحكيها) أي نقصها لك ونخبرك بأحداثها.

والحمد لله رب العالمين.



شرح الأرجوزة المنيّة في ذكر حال أشرف البرية

لابن أبي العز الحنفي رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى

برنامج دليل ١٤٤٧هـ

الدرس الرابع

الحمد لله .. أما بعد:

فيقول الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى:

٤٢- أَكْمَلْ فِي الْأُولَى صَلَاةَ الْحَضَرِ مِنْ بَعْدِ مَا جَمَعَ فَاسْمَعْ خَبْرِي

أي أكمل رسول الله ﷺ في السنة الأولى من الهجرة صلاة الحضر، أي بزيادة ركعتين على الظهر والعصر والعشاء، فصارت أربعاً، وأبقيت صلاة السفر ركعتين على ما كانت عليه قبل الهجرة.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا، وَتَرَكْتُ صَلَاةَ السَّفَرِ عَلَى الْأُولَى» رواه البخاري ٣٩٣٥، ومسلم ٦٨٥.

وعن عَائِشَةَ، قَالَتْ: «قَدْ فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ بِمَكَّةَ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ زَادَ مَعَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ إِلَّا الْمَغْرِبَ، فَإِنَّهَا وَتُرُ النَّهَارِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ لَطُولِ قِرَاءَتِهَا، قَالَ: وَكَانَ إِذَا سَافَرَ صَلَّى الصَّلَاةَ الْأُولَى» رواه الإمام أحمد ٢٦٠٤٢، وابن خزيمة في صحيحه ٩٤٤، قال ابن رجب في الفتح ٣٢٩/٢: (وهذه الرواية إسنادها متصل، وهي تدل على أن إتمام الظهر والعصر والعشاء أربعاً تأخر إلى ما بعد الهجرة إلى المدينة).

وكان إتمام الصلاة الرباعية بعدما (جمّع) أي أقام عليه الصلاة والسلام أول صلاة جمعة في المدينة، في السنة الأولى من الهجرة، ولم تكن الجمعة فرضت في مكة.

٤٣ - ثُمَّ بَنَى الْمَسْجِدَ فِي قُبَاءٍ وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ الْغَرَاءِ

أي ثم بنى رسول الله ﷺ مسجد قباء، ويقع جنوب المسجد النبوي، يبعد عنه نحو ثلاثة كيلو مترات ونصف.

وتسن الصلاة في مسجد قباء، فيخرج إليه متطهراً ويصلي فيه؛ لفعله ﷺ حيث كان يزور مسجد قباء راكباً وماشيّاً ويصلي فيه ركعتين. متفق عليه. وقال النبي ﷺ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءٍ، فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةً، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عَمْرَةٍ» رواه النسائي وابن ماجه.

وبنى ﷺ أيضاً مسجد المدينة، وهو المسجد النبوي، أمر الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ببنائه، وشاركهم في البناء عليه الصلاة والسلام.

وروى البخاري ٣٩٠٦ في قصة الهجرة: «... فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بَضْعَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ، وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ^(١)، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمَرِ، لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجَرٍ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ». ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ، لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالَا: لَا، بَلْ نَهْبُهُ

(١) معنى (أسس على التقوى) أي بني من أجل عبادة الله عز وجل الخالصة، وهو مسجد قباء.

لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبَنَ فِي بُيَانِهِ وَيَقُولُ، وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبَنَ: «هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْرٍ، هَذَا أَبْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ، فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَالْمُهَاجِرَةَ».

وجاء في فضل الصلاة في المسجد النبوي قول النبي ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام» متفق عليه.

٤٤ - ثُمَّ بَنَى مِنْ حَوْلِهِ مَسَاكِنَهُ ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدُ فِي هَذِي السَّنَةِ

٤٥ - أَقْلٌ مِنْ نِصْفِ الَّذِينَ سَافَرُوا إِلَى بِلَادِ الْحَبَشِ حِينَ هَاجَرُوا

أي ثم بعد فراغه ﷺ من بناء المسجد بنى حول مسجده مساكنه، وهي حجرات نسائه المتصلة بالمسجد، وكان بناء هذه الحجرات متتابعاً بقدر الحاجة، فإنه ﷺ لم يكن له زوجة حين قدم المدينة إلا سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كما تقدم أنه دخل بها في المدينة، وعائشة عقد عليها في مكة ثم دخل بها في المدينة، ثم تزوج غيرها كما هو معروف في سيرته ﷺ.

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ عَلَيْهِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّفْلِ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعُلُوِّ، قَالَ: فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُّوبَ لَيْلَةً، فَقَالَ: نَمَشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبٍ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «السُّفْلُ أَرْفَقُ»، فَقَالَ: لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا، فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْعُلُوِّ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي السُّفْلِ...» رواه مسلم ٢٠٥٣.

ثم بعد مضي بعض الشهور أتى إلى المدينة في تلك السنة الأولى بعض من هاجر إلى الحبشة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكان عددهم أقل من نصف عدد الذين هاجروا من مكة إلى الحبشة.

٤٦ - وَفِيهِ آخَى أَشْرَفُ الْأَخْيَارِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ

أي وفي العام الأول من هجرة النبي ﷺ آخى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين من مكة والأنصار، وهم الأوس والخزرج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعاً، والمؤاخاة هي معاهدة بين الرجلين على النصرة والتعاون فيما بينهما كأنهما أخوين من النسب.

ومن أمثلة المؤاخاة التي حصلت بين المهاجرين والأنصار ما روى البخاري ٣٧٨١ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ، فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمْتَ الْأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَنَنْظُرُ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطْلِقُهَا، حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجَتْهَا، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ، ^(١) فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ، وَضُرَّ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْمٌ». قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ «مَا سَقَتِ إِلَيْهَا؟». قَالَ: وَزَنَ نَوَافٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ نَوَافٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «أَوَلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ

٤٧ - ثُمَّ بَنَى بِابْنَةِ خَيْرٍ صَحْبِهِ وَشَرَعَ الْأَذَانَ فَاقْتَدِيَ بِهِ

أي ثم (بنى) أي دخل النبي ﷺ في السنة الأولى من الهجرة بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بنت خير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل لمن دخل على زوجه بنى بها؛ لأن أصله أن الداخل بأهله كان يبنى عليها قبة ليلة الدخول، فقيل لكل من دخل على أهله: بنى بأهله.

(١) وفي رواية للبخاري ٣٩٣٧: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلْنِي عَلَى السُّوقِ، فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَتَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، فَوُعِكَتُ فَتَمَرَّقَ شَعْرِي، فَوَفَى جُمَيْمَةً فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ، وَإِنِّي لَفِي أَرْجُوْحَةٍ، وَمَعِيَ صَوَاحِبُ لِي، فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا، لَا أَذْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْفَقْتَنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَا نُهْجُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفْسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ، فَقُلْنَ عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكََةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضُحَى، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ» رواه البخاري ٣٨٩٤، ومسلم ١٤٢٢.

ومعنى (تزوجني) عقد علي عقد الزواج وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين. (فوعكت) أصابني الوعك وهو الحمى. (فتمرَّق) تقطَّع (فوفى) كثر. (جميمة) مصغر الجمجمة وهي ما سقط على المنكبين من شعر الرأس. (أم رومان) كنية أم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا واسمها زينب بنت عامر بن عويمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. (لأنهج) أتففس تنفسا عاليا ويغلبني التنفس من الإعياء، والنهج تتابع التنفس من شدة الحركة أو فعل متعب. (خير طائر) قدمت على خير، وقيل على خير حظ ونصيب. (فأصلحن من شأني) أي مشطنها وزينها. (فلم يرعني) لم يفاجنني، ويقال هذا في الشيء الذي لا يتوقع فيأتي فجأة في غير زمانه ومكانه.

وكان دخوله ﷺ بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في شوال من السنة الأولى، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَوَّالٍ، وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي؟»، قَالَ: «وَكَاثَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تَدْخَلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ» رواه مسلم ١٤٢٣.

قال النووي في شرح مسلم ٢٠٩ / ٩: (وقصدت عائشة بهذا الكلام رد ما كانت الجاهلية عليه وما يتخيله بعض العوام اليوم من كراهة التزوج والتزويج والدخول في شوال وهذا باطل لا أصل له وهو من آثار الجاهلية كانوا يتطيرون بذلك).

ومن أحداث السنة الأولى من الهجرة أن شرع فيها النبي ﷺ الأذان. وقوله: (فاقتدي): فعل أمر، والأصل فاقتد. لأنه مجزوم بحذف حرف العلة، لكن أثبت الياء هنا لضرورة الشعر، ويحتمل أن يكون ضبطه: (فاقتدي) على أنه فعل ماض مبني لما لم يسم فاعله، وتسكين الياء لضرورة الشعر.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَوَاتِ، وَلَيْسَ يُنَادِي بِهَا أَحَدٌ، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَرْنًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ، فَقَالَ عُمَرُ أَوْ لَا تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلَاةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بِلَالُ قُمْ فَنادِ بِالصَّلَاةِ» رواه مسلم ٣٧٧.

٤٨ - وَغَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ بَعْدَ فِي صَفَرٍ هَذَا وَفِي الثَّانِيَةِ الْغَزْوُ اشْتَهَرَ

٤٩ - إِلَى بُوَاطِ ثُمَّ بَدْرٍ وَوَجَبَ تَحَوُّلُ الْقِبْلَةِ فِي نِصْفِ رَجَبٍ

أي أن غزوة الأبواء - وهو موضع بين مكة والمدينة - في صفر من السنة الثانية من الهجرة، وهي أول غزوات الرسول ﷺ.

وفي السنة الثانية من الهجرة غزوة بواط، وهي وادي شمال غرب المدينة، يبعد عنها ما يقارب خمسة وسبعين كيلو مترا، خرج إليها رسول الله ﷺ حين بلغه أن عيراً لقريش راجعة من الشام، فيها أمية بن خلف، ومائة من قريش،

وألفان وخمسمائة بعير، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في مائتين من المهاجرين والأنصار، فوصل جيش المسلمين إلى بواط، ولكن عيون قريش علمت بذلك فأسرعت قافلتهن بسيرها، وسلكت طريقا آخر، فلم يلقهن المسلمون، ورجع رسول الله ﷺ ولم يلق كيدا.

ثم بعدها في السنة الثانية غزوة بدر الأولى، وسببها أن كرز بن جابر الفهري ومعه جماعة من المشركين أغاروا على مراعي ضواحي المدينة، واستاقوا بعض إبل وغنم المسلمين، فخرج رسول الله ﷺ إليهم في مائتين من المسلمين لمطاردهم، لكنهم فروا، ورجع المسلمون من غير حرب.

ومن أحداث السنة الثانية من الهجرة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة في نصف شهر رجب من تلك السنة.

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى، أَوْ صَلَّاهَا، صَلَاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ» فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ، قَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تَحُولَ قِبَلَ الْبَيْتِ رَجُلًا قُتِلُوا، لَمْ نَذِرْ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. رواه البخاري ٤٤٨٦، ومسلم ٥٢٥، واللفظ للبخاري.

٥٠- مِنْ بَعْدِ ذَا الْعُشَيْرِ يَا إِخْوَانِي وَفَرَضَ شَهْرَ الصَّوْمِ فِي شَعْبَانَ

أي أن تحوّل القبلة كان بعد غزوة ذي العُشير.

والعشير: وادٍ سمي باسم شجر ينبت فيه اسمه العُشْر، وتصغيره العُشِير، ويقال العشيرة، وهو موضع غربي المدينة، يبعد عنها مائة وسبعين كيلو مترا، بالقرب من ينبغ النخل.

خرج رسول الله ﷺ بجيش المسلمين إلى العشيرة لرصد قافلة لقريش على الطريق بين مكة والشام، فعلمت قريش بذلك، فلم يلقهم، وحالف النبي ﷺ بني مدلج وحلفاءهم، ورجع من غير قتال.

وفي شعبان من السنة الثانية للهجرة فرض صوم شهر رمضان.

٥١ - وَالْغَزْوَةُ الْكُبْرَى الَّتِي بَدَرَ فِي الصَّوْمِ فِي سَابِعِ عَشْرِ الشَّهْرِ

أي ومن أحداث السيرة النبوية في السنة الثانية من الهجرة غزوة بدر الكبرى، وكانت في شهر الصوم شهر رمضان في اليوم السابع عشر منه. وسميت بدر الكبرى لتمييزها عن بدر الصغرى الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى. وبدر بلد تقع في الجنوب الغربي من المدينة، تبعد عنها مائة وخمسة وخمسين كيلو مترا.

ويسمى يوم بدر يوم الفرقان، لأن الله تعالى أعز فيه الإسلام وأهله، وأذل الشرك وأهله، مع ما كان عليه المسلمون من قلة العدد والعدة، وأهي أعظم الغزوات وأشرفها، حتى قال النبي ﷺ في قصة حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان ممن شهد بدرا: (لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ) رواه البخاري ٣٠٠٧، ومسلم ٢٤٩٤، وفي رواية للبخاري ٦٢٥٩: (فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ).

٥٢ - وَوَجَبَتْ فِيهِ زَكَاةُ الْفِطْرِ مِنْ بَعْدِ بَدْرِ بِلَيَالٍ عَشْرِ

أي وفي تلك السنة الثانية من الهجرة فرضت زكاة الفطر في شهر رمضان، بعد مضي عشر ليال من غزوة بدر الكبرى، أي لثلاث ليال بقين من رمضان.

٥٣ - وَفِي زَكَاةِ الْمَالِ خُلْفٌ فَأَذِرْ وَمَاتَتْ ابْنَةُ النَّبِيِّ الْبَرِّ

٥٤ - رُقِيَّةٌ قَبْلَ رُجُوعِ السَّفَرِ زَوْجَةُ عُثْمَانَ وَعُرْسُ الظُّهْرِ

٥٥ - فَاطِمَةُ عَلَى عِيٍّ الْقَدْرِ وَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ الْأَسْرِ

في هذه الآيات عدة حوادث من حوادث السيرة.

الأولى: فرض زكاة المال: وأشار الناظم رحمه الله تعالى إلى أن وقت فرضها فيه خلاف بين العلماء، فمنهم من قال فرضت بمكة، ومنهم من قال فرضت بالمدينة.

وقال ابن كثير في تفسيره ٥/ ٤٦٢: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾: الأكثرون على أن المراد بالزكاة هاهنا زكاة الأموال، مع أن هذه الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة، والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصب والمقادير الخاصة، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبا بمكة، كما قال تعالى في سورة الأنعام، وهي مكية: ﴿وَعَاءَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١].

والثانية: وفاة رقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ابنة النبي ﷺ، بعد مرض ألمَّ بها، وهي بنت ثلاث وعشرين سنة، وكانت وفاتها قبل رجوع السَّفر، أي المسافرين، أي قبل رجوع رسول الله ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من غزوة بدر الكبرى.

ورقية هي زوجة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتخلَّف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن بدر لاشتغالها بتمريضها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ولما جاء رجل لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال له: هل تعلم أن عثمان تغيب يوم بدر؟ قال نعم، ثم قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (وَأَمَّا تَغْيِبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَسَهْمَهُ» رواه البخاري ٣٦٩٨.

والثالثة: زواج فاطمة بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولهذا قال: (وعرس الطهر) أي فاطمة الطاهرة المطهرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بنت رسول الله ﷺ، تزوجها ابن عمها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعمرها ثماني عشرة سنة، وعمره خمس وعشرون سنة، وهو (عليّ القدر) أي رفيع القدر عند الله تعالى، وعند المؤمنين.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عَلِيًّا قَالَ: تَزَوَّجْتُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنِي، قَالَ: «أَعْطَهَا شَيْئًا» قُلْتُ: مَا عِنْدِي مِنْ شَيْءٍ، قَالَ: «فَأَيْنَ دِرْعُكَ الْحُطَمِيَّةُ؟» قُلْتُ: هِيَ عِنْدِي، قَالَ: «فَأَعْطَهَا إِيَّاهُ» رواه النسائي ^(١).

ومعنى (الحطمية) أي التي تحطم السيوف.

والرابعة: إسلام العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عم النبي ﷺ، بعد أسره في غزوة بدر الكبرى.

٥٦ - وَقَيْنُقَاعُ غَزْوُهُمْ فِي الْإِثْرِ وَبَعْدُ ضَحَى يَوْمَ عِيدِ التَّحْرِ

أي ومن أحداث السيرة بعد ذلك غزوة بني قينقاع، وبني قينقاع من قبائل اليهود، كانوا يسكنون بعوالي المدينة، وكان غزوهم في إثر غزوة بدر الكبرى، أي بعدها بأيام قليلة.

(١) أخرجه النسائي (٣٣٧٥)، واللفظ له، وأخرجه بنحوه أبو داود (٢١٢٥)، وأحمد (٦٠٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

قال ابن كثير في الفصول ص ١٤٢: (ونقض بنو قينقاع - أحد طوائف اليهود بالمدينة - العهد وكانوا تجاراً وصاغة، وكانوا نحو السبعمئة مقاتل، فخرج النبي ﷺ لحصارهم، واستخلف على المدينة بشير بن عبد المنذر، فحاصرهم ﷺ خمس عشرة ليلة، ونزلوا على حكمه ﷺ، فشفع فيهم عبد الله بن أبي بن سلول، لأنهم كانوا حلفاء الخزرج، وهو سيد الخزرج، فشفعه فيهم بعد ما ألحَّ على رسول الله ﷺ، وكانوا في طرف المدينة).

ثم بعد ذلك في شهر ذي الحجة ضحى النبي ﷺ بنسك الأضحية في يوم عيد النحر من ذلك العام الثاني من الهجرة.

- ٥٧ - وَغَزَوَةُ السَّوِيقِ ثُمَّ قَرْقَرَةٌ وَالْغَزْوُ فِي الثَّالِثَةِ الْمُشْتَهَرَةِ
 ٥٨ - فِي غَطَفَانَ وَبَنِي سُلَيْمٍ وَأُمَّ كَلْثُومَ ابْنَةَ الْكَرِيمِ
 ٥٩ - زَوْجَ عُثْمَانَ بِهَا وَخَصَّهُ ثُمَّ تَزَوَّجَ النَّبِيِّ حَفْصَةَ
 ٦٠ - وَزَيْنَبًا ثُمَّ غَزَا إِلَى أَحُدَ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ وَحَمْرَاءِ الْأَسَدِ
 ٦١ - فَالْحَمْرُ حَرَّمَتْ يَقِينًا فَاسْمَعَنَ هَذَا وَفِيهَا وُلِدَ السَّبْطُ الْحَسَنُ

في هذه الآيات عدة أحداث من أحداث السيرة في المدينة.

الأولى: غزوة السويق: والسويق: طعام يُتَّخَذُ مِنَ الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ^(١).

قال ابن كثير في الفصول ص ١٤٠: (ولما رجع أبو سفيان إلى مكة وأوقع الله في أصحابه ببدر بأسه، نذر أبو سفيان ألا يمس رأسه بماء حتى يغزو رسول الله ﷺ، فخرج في مائتي راكب، فنزل طرف العريض وبات ليلة واحدة في بني النضير عند سلام بن مشكم، فسقاه ويطن له من خبر الناس، ثم أصبح في أصحابه، وأمر فقطع أصواراً من النخل، وقتل رجلاً من الأنصار وحليفاً له ثم كر راجعاً).

(١) ينظر: المصباح المنير ١/ ٢٩٦.

ونذر به رسول الله ﷺ فخرج في طلبه والمسلمون فبلغ قرقرة الكدر، وفاته أبو سفيان والمشركون، وألقوا شيئاً كثيراً من أزوادهم، من السوق، فسميت غزوة السوق، وكانت في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة، ثم رجع ﷺ إلى المدينة، وقد كان استخلف عليها أبا لبابة).

الثانية: غزوة قرقرة: غزا فيها النبي ﷺ بني سليم، وقيل إن قرقرة هي غزوة السوق المتقدم ذكرها، وإلى هذا ذهب ابن كثير رحمه الله تعالى.

الثالثة: غزو غطفان، وهي قبيلة عدنانية، وتسمى هذه الغزوة غزوة ذي أمّر.

قال ابن كثير في الفصول ص ١٤٢: (ثم أقام ﷺ بقية ذي الحجة ثم غزا نجداً يريد غطفان، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأقام بنجد صفراً من السنة الثانية كله، ثم رجع ولم يلق حرباً).

الرابعة: غزو بني سليم، قبيلة عدنانية، ومساكنهم شمال مكة، على بعد مائة وعشرين كيلو متر منها، وكانت هذه الغزوة في السنة الثالثة، لغزو بني سليم، ولم يقع فيها قتال.

الخامسة: تزوج عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعمره خمسون سنة، بأم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ابنة رسول الله ﷺ، وعمرها اثنتان وعشرون سنة، وذلك بعد وفاة أختها رقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقد خص النبي ﷺ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتزويجه ابنته، فسمي بذي النورين، وهذه الخصوصية له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يشركه فيها أحد.

السادسة: زواج النبي ﷺ في تلك السنة الثالثة بأم المؤمنين حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بعد وفاة زوجها.

روى البخاري ٤٠٠٥ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، تُوْفِّي بِالْمَدِينَةِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَأَ لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِي ثُمَّ «خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ» فَلَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ، إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا.

السابعة: زواج النبي ﷺ في السنة الثالثة بأم المؤمنين زينب بنت خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الثامنة: غزوة أحد، في شوال من السنة الثالثة، نسبة إلى جبل أحد، أشهر جبال المدينة.

التاسعة: غزوة حمراء الأسد، وهو جبل جنوب المدينة، يبعد عنها نحو خمسة عشر كيلو مترا، وقيل في سببها: أن النبي ﷺ بلغه أن أبا سفيان ومن معه يريدون أن يرجعوا ليستأصلوا المسلمين، فحينئذ خرج النبي ﷺ بأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لملاقاته، مع ما فيهم من الجراح والنصب بعد أحد، ثم إن الله قذف في قلوب المشركين الخوف فرجعوا، ولم يقع قتال.

العاشرة: تحريم الخمر في هذه السنة الثالثة، تحريما قاطعا.

الحادية عشرة: ولادة الحسن بن علي رضي الله عنهما، في السنة الثالثة، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسبط ابن البنت.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب ١ / ٣٨٣: (ولدت أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، هذا أصبح ما قيل في ذلك إن شاء الله).

والحمد لله رب العالمين.



شرح الأرجوزة المنيّة في ذكر حال أشرف البرية

لابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

برنامج دليل ١٤٤٧هـ

الدرس الخامس

الحمد لله .. أما بعد:

فيقول الناظم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٦٢ - وَكَانَ فِي الرَّابِعَةِ الْغَزْوُ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ فِي رَبِيعٍ أَوَّلًا

أي ومن أحداث السنة الرابعة من الهجرة غزوة بني النضير، وهم من يهود المدينة، كانت منازلهم ببطحان والבוيرة في عوالي المدينة، وكان غزوهم في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة.

وذكر ابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٢٢٢ أن سبب غزوة بني النضير، أن النبي ﷺ خرج إلى بني النضير ليعينوه في دية رجلين قتلها عمرو بن أمية الضمري، لما بين النبي ﷺ وبينهم من الحلف، فقالوا: نعم، وجلس هو وأبو بكر وعمر وعلي، وطائفة من أصحابه، فاجتمع اليهود وتشاوروا وقالوا: من رجل يلقي على محمد هذه الرحى فيقتله؟ فانبعث أشقاها عمرو بن جحاش، لعنه الله، ونزل جبريل من عند رب العالمين على رسوله يعلمه بما هموا به، فنهض رسول الله ﷺ من وقته راجعا إلى المدينة، ثم تجهز وخرج بنفسه لحربهم، فحاصروهم ست ليال، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وذلك في ربيع الأول.

ونزلوا على أن لهم ما حملت إبلهم غير السلاح، ويرحلون من ديارهم، فترحل أكابرهم كحيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق إلى خيبر، وذهبت طائفة منهم إلى الشام، وأسلم منهم رجلان فقط يامين بن عمرو، وأبو سعد بن وهب، فأحرزا أموالهما.

وفي هذه الغزوة نزلت سورة الحشر، ثم قال ابن القيم: (هذا الذي ذكرناه هو الصحيح عند أهل المغازي والسير).

٦٣ - وَبَعْدُ مَوْتُ زَيْنَبَ الْمُقَدَّمَةِ وَبَعْدَهُ نِكَاحُ أُمِّ سَلَمَةَ

أي وبعد ذلك ماتت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي المقدم ذكرها في الآيات الماضية.

وبعد ذلك نكح النبي ﷺ أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، واسمها هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية، تزوجها بعد وفاة زوجها أبو سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

روى مسلم (٩١٨) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، يَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، اللَّهُمَّ أَجْرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بَيْتًا وَأَنَا غَيْرُورٌ، فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَندعو الله أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو الله أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ».

٦٤- وَبِنتِ جَحْشٍ ثُمَّ بَدَرَ الْمَوْعِدِ وَبَعْدَهَا الْأَحْزَابُ فَاسْمَعِ وَاعْدُدِ

أي وبعد ذلك تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش الأسدية القرشية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، عمّة رسول الله ﷺ.

ثم بعد ذلك وقعت بدر الموعد، التي واعد فيها رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب قائد قريش اللقاء في بدر من العام التالي لغزوة أحد.

وتسمى بدر الصغرى، تميزا لها عن بدر الكبرى، وكانت في السنة الرابعة من الهجرة.

ولما وصل المسلمون إلى بدر انتظروا قريشا، لكن المشركين بعدما خرجوا من مكة ترددوا في أمرهم، ثم رأوا الرجوع إلى مكة، ثم عاد المسلمون إلى المدينة بغير قتال.

وبعدها الأحزاب، في السنة الخامسة من الهجرة، وتسمى الخندق، والخندق: أخدود حفره الرسول ﷺ وصحابته **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** أحاط بشمالي المدينة المنورة من الحرة الشرقية إلى الحرة الغربية، عمقه ثلاثة أمتار، وعرضه أربعة أمتار، وطوله ألفان وثلاثمائة وخمسون مترا، حيث كانت جموع العدو تحاصره، وتسمى الأحزاب لتحزب الكفار على النبي ﷺ.

وسببها أن النبي ﷺ حين أجلى بين النصير خرج نفر منهم إلى مكة شرفها الله تعالى فحرضوا قريشا على قتاله، ثم عادوا إلى غطفان وسليم فحرضوهم أيضا فاجتمع الكل على قتاله فأولئك هم الأحزاب، فلما أقبلوا على المدينة أشار سلمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بحفر الخندق.

وقد هزمهم الله تعالى، وردهم خائبين بما أرسل عليهم من الريح والجنود بعد أن أقاموا قريبا من الشهر.

وقد تقدم أن غزوة الأحزاب كانت في السنة الخامسة من الهجرة، وأما ما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «عَرَضَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فِي الْقِتَالِ، وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةً، فَلَمْ يُجْزَنِي، وَعَرَضَنِي يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةً، فَأَجَازَنِي» رواه البخاري ٢٦٦٤، ومسلم ١٨٦٨.

وقد تقدم أن غزوة أحد كانت في السنة الثالثة من الهجرة، فعلى هذا الحديث تكون الأحزاب في السنة الرابعة.

قال النووي في شرح مسلم ١٣ / ١٢: (وفيه دليل على أن الخندق كانت سنة أربع من الهجرة وهو الصحيح وقال جماعة من أهل السير والتواريخ كانت سنة خمس وهذا الحديث يردّه لأنهم أجمعوا على أن أحدا كانت سنة ثلاث فيكون الخندق سنة أربع لأنه جعلها في هذا الحديث بعده بسنة).

وأجاب عنه القرطبي في المفهم ٣ / ٦٩٧: بأنه يمكن (أن يكون ابن عمر في غزوة أحد دخل في أول سنة أربع عشرة من حين مولده، وذلك في شوال في غزوة أحد، ثم كملت له سنة أربع عشرة في شوال من السنة الآتية، ثم دخل في الخامس عشر إلى شوالها الذي كانت فيه غزوة الأحزاب، فأراد: أنه كان في غزوة أحد في أول الرابعة، وفي غزوة الأحزاب في آخر الخامسة).

- ٦٥- ثُمَّ بَنِي قُرَيْظَةَ وَفِيهِمَا خُلْفٌ وَفِي ذَاتِ الرِّقَاعِ عُلْمًا
 ٦٦- كَيْفَ صَلَاةُ الْخَوْفِ وَالْقَصْرُ نِي وَآيَةُ الْحِجَابِ وَالْتِيَمُّ
 ٦٧- قِيلَ: وَرَجْمُهُ الْيَهُودِيِّينَ وَمَوْلِدُ السَّبْطِ الرِّضَا الْحُسَيْنِ

أي ثم غزا رسول الله ﷺ اليهود من بني قريضة، وكانت منازلهم شرق عوالي المدينة.

وغزوة بني قريضة كانت بإثر الأحزاب، لأن يهود بني قريضة نقضوا العهد مع النبي ﷺ، وناصروا الأحزاب على المسلمين.

وقول الناظم: (وفيهما خُلْفٌ) أي وفي تاريخ غزوة الأحزاب وبني قريضة خلاف بين أهل السيرة، فمن يرى أن الأحزاب كانت في السنة الرابعة فتكون غزوة بني قريضة في الرابعة، ومن يرى أن الأحزاب في الخامسة فتكون غزوة بني قريضة في الخامسة.

وفي غزوة ذات الرقاع شرعت صلاة الخوف، ولهذا قال الناظم: (عُلْمًا كيف صلاة الخوف) أي عُلِّمَ النبي ﷺ كيفية صلاة الخوف.

عَنْ صَالِحِ بْنِ خَوَاتٍ، عَمَّنْ شَهِدَ «رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ ذَاتِ الرِّقَاعِ صَلَّى صَلَاةَ الْخَوْفِ: أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ، وَطَائِفَةٌ وَجَّاهَ الْعَدُوَّ، فَصَلَّى بِالنَّبِيِّ مَعَهُ رُكْعَةً، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا، وَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ انْصَرَفُوا، فَصَفُّوا وَجَّاهَ الْعَدُوَّ، وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى فَصَلَّى بِهِمُ الرُّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلَاتِهِ ثُمَّ ثَبَتَ جَالِسًا، وَأَتَمُّوا لِأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ سَلَّمَ بِهِمْ» رواه البخاري ٤١٢٩، ومسلم ٨٤٢.

وفي سبب تسميتها بذات الرقاع، ما روى أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ، بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَتَقَبَّتْ أَقْدَامُنَا، وَنَقَبَتْ

قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، وَكُنَّا نُلْفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرْقَ، فَسُمِّتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرَّقَاعِ، لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الْخِرْقِ عَلَى أَرْجُلِنَا»، وَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ، قَالَ: مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ، كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ. رواه البخاري ٤١٢٨، ومسلم ١٨١٦.

ومعنى (نعتقبه) أي يركبه كل واحد منا نوبة. (فنقبت) أي قرحت من الحفاء.

وقول الناظم: (والقصر نمي)

أي وشرع قصر الصلاة الرباعية في السفر، ومعنى (نمي) أي نقل وأسند. وأيضا نزلت آية الحجاب، وهي قوله تعالى: (وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب . . .)

قال ابن كثير في الفصول ص ١٨٣ عن نزول الحجاب: (ولا خلاف أنه نزل صبيحة دخوله ﷺ بزینب بنت جحش).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ دَعَا النَّاسَ، طَعَمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ» قَالَ: «فَأَخَذَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُومُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ، فَلَمَّا قَامَ قَامَ مَنْ قَامَ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ وَبَقِيَ ثَلَاثَةٌ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ لِيَدْخُلَ فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ، ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا فَانْطَلَقُوا» قَالَ: «فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدْ انْطَلَقُوا، فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ، فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ فَأَرَخَى الْحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ» وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣] - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] رواه البخاري ٦٢٧١، ومسلم ١٤٢٨.

ونزلت أيضا آية التيمم في سورة المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ...﴾

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ، أَوْ بِذَاتِ الْجَيْشِ، انْقَطَعَ عَقْدُ لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى التِّمَاسِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَاتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَقَالُوا: أَلَا تَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ، أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِالنَّاسِ، وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ؟ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاضِعُ رَأْسِهِ عَلَى فِخْذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسَتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ وَلَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، وَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحْرُكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى فِخْذِي، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ «فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التِّيمُمِ فَتَيَمَّمُوا» فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا الْعِقْدُ تَحْتَهُ. رواه البخاري ٤٦٠٧.

والدليل على أنها آية المائدة لا النساء، رواية البخاري ٤٦٠٨، وفيها (فَنَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾).

وقول الناظم: (وقيل: ورجمه اليهوديين)

قيل: صيغة تمريض، تدل على عدم الجزم، أي وقيل إنه في السنة الرابعة من الهجرة أمر النبي ﷺ بـرجم اليهوديين الزانين المحصنين.

وفي السنة الرابعة من الهجرة ولد الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ابن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنت رسول الله ﷺ، وهو سبط رسول الله ﷺ، أي ابن بنته.

وقوله: (الرضا) أي المرضي عند الله تعالى، وعند المؤمنين.

٦٨- الْإِفْكَ فِي غَزْوِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَكَانَ فِي الْخَامِسَةِ اسْمُ وَثِقِ

أي وحادثة الإفك وقعت في غزوة بني المصطلق، كانت في السنة الخامسة من الهجرة، وبني المصطلق بطن من بني خزاعة، وتسمى أيضا غزوة المريسيع، وهو ماء لبني خزاعة، وهو موضع الواقعة.

والإفك هو الكذب الفاحش.

ففي السنة الخامسة وقعت حادثة الإفك المشهورة، والتي رُميت فيها أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها بما برأها الله منه، وأنزل الآيات من سورة النور في براءتها.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره عند تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: (هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات - خرج مخرج الغالب - المؤمنات، فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانت سبب النزول، وهي عائشة بنت الصديق، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقد أجمع العلماء، رحمهم الله، قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورمأها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن. وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحهما أنهن كهي).

٦٩- وَدُومَةُ الْجَنْدَلِ قَبْلُ وَحَصَلْ عَقْدُ ابْنَةِ الْحَارِثِ بَعْدُ وَاتَّصَلَ

أي وغزوة دومة الجندل كانت قبل غزوة بني المصطلق.

يقال دومة الجندل، بضم الدال وفتحها، وهي بلد تقع شمال المدينة النبوية، تبعد عنها ما يقارب الثمانمائة كيلو متر.

خرج إليهم رسول الله ﷺ والمسلمون، فلما وصلوهم هربوا خوفاً وفزعاً، فغنم المسلمون منهم، ورجوا بغير قتال.

وقوله: (وحصل) أي ثبت عقد النبي ﷺ على أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها، وقوله: (بعد واتصل) أي أن زواجه ﷺ منها كان بعد غزو بني المصطلق، متصلاً بهذه الغزوة، وكانت من سبي غزوة بني المصطلق.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: وَقَعْتُ جُوَيْرِيَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُصْطَلِقِ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، أَوْ ابْنِ عَمٍّ لَهُ فَكَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً مَلَّاحَةً تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ، قَالَتْ: عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَجَاءَتْ تَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي كِتَابَتِهَا فَلَمَّا قَامَتْ عَلَى الْبَابِ فَرَأَيْتُهَا كَرِهْتُ مَكَانَهَا وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَيَرَى مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتُ فَقَالْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ أَمْرِي مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ وَإِنِّي وَقَعْتُ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَإِنِّي كَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِي فَجِئْتُكَ أَسْأَلُكَ فِي كِتَابَتِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَهَلْ لَكَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ؟» قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أُودِّي عَنْكَ كِتَابَتِكَ وَأَتَزَوَّجُكَ» قَالَتْ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَتْ: فَتَسَامَعُ - تَعْنِي النَّاسَ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ، فَأَرْسَلُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْيِ، فَأَعْتَقُوهُمْ، وَقَالُوا: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا رَأَيْنَا امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَهٍ عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا، أُعْتِقَ فِي سَبَبِهَا مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «هَذَا حُجَّةٌ فِي أَنَّ الْوَلِيَّ هُوَ يُزَوِّجُ نَفْسَهُ» رواه أبو داود ٣٩٣١، وحسنه الألباني.

٧٠- وَعَقْدُ رِيحَانَةَ فِي ذِي الْحَامِصَةِ ثُمَّ بَنُو لِحْيَانَ بَدْءُ السَّادِسَةِ

أي وعقد النبي ﷺ على ريحانة بنت شمعون بن زيد، من بني قريضة، في السنة الخامسة من الهجرة، وكانت من سبي يهود بني قريضة الذين غزاهم

النبي ﷺ كما تقدم، وهذا على القول بأنها زوجة حرة، وذهب بعض أهل العلم إلى أنها أمة من سرايه ﷺ، وليست زوجة له.

ثم تلا ذلك غزوة بني لحيان، ولحيان بكسر اللام وفتحها لغتان، قبيلة من هذيل، كانت مساكنهم شمال مكة، على بعد أربعة وستين كيلا منها، وكان غزوهم في بدء السنة السادسة من الهجرة.

٧١ - وَبَعْدَهُ اسْتِسْقَاؤُهُ وَذُو قَرْدٍ وَصَدَّ عَنْ عُمْرَتِهِ لَمَّا قَصَدَ

أي وبعد تلك الأحداث مشروعية صلاة الاستسقاء في السنة السادسة من الهجرة، صلاها ﷺ في المصلى.

ومن أحداث تلك السنة السادسة غزوة ذي قرد، وهو موضع شرق المدينة النبوية، يبعد ما يقارب خمسة وثلاثين كيلا، وكانت لمطاردة عيينة بن حصن وجماعة من غطفان لإعادة إبل المسلمين التي انتهبها المشركون.

وفي تلك السنة السادسة صد المشركون رسول الله ﷺ عن العمرة لما جاء هو وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قاصدين البيت الحرام، وهي أول عُمَرِهِ ﷺ، وفيها وقع صلح الحديبية المشهور، ثم اعتمر بعدها ثلاث عُمَر.

والحديبية تقع غرب مكة، تبعد عنها ما يقارب الاثنى عشرين كيلا، وتسمى الآن الشميسي، وكان صلح الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة.

٧٢ - وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ وَبَنَى فِيهَا بِرِجْأَنَةٍ هَذَا بَيْنَا

أي وببيعة الرضوان كانت بعد أن أصر كفار قريش على صد رسول الله ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبعدما شاع الخبر أن المشركين قتلوا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان قد أرسله النبي ﷺ للتفاوض مع المشركين، فحينئذ بايع النبي ﷺ أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على ألا يفروا، وضرب رسول الله ﷺ بإحدى يديه على

الأخرى، وقال: (هذه لعثمان)، وسميت بيعة الرضوان؛ لقول الله تعالى: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة)

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ: «أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ» وَكُنَّا أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ، وَلَوْ كُنْتُ أَبْصُرُ الْيَوْمَ لَأَرَيْتُكُمْ مَكَانَ الشَّجَرَةِ. رواه البخاري ٤١٥٤، ومسلم ١٨٥٦.

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ، فَبَايَعْنَاهُ وَعُمَرُ أَخَذَ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ سَمُرَةٌ، وَقَالَ: «بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَ، وَلَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ^(١)» رواه مسلم ١٨٥٦

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: «كَانَ أَبِي مِمَّنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الشَّجَرَةِ»، قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا فِي قَابِلٍ حَاجِّينَ، فَخَفِيَ عَلَيْنَا مَكَانُهَا، فَإِنْ كَانَتْ تَبَيَّنَتْ لَكُمْ فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ» رواه مسلم ١٨٥٩، وفي رواية لمسلم: عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ، «أَنْهُمْ كَانُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الشَّجَرَةِ»، قَالَ: «فَنَسَوْهَا مِنْ الْعَامِ الْمُقْبِلِ»

(في قابل) أي في عام قابل، أي قادم (فخفي علينا مكانها) وسبب خفائها ألا يفتتن الناس بها لما جرى تحتها من الخير ونزول الرضوان والسكينة وغير ذلك، فلو بقيت ظاهرة معلومة لخيفَ تعظيم الأعراب والجهال إياها وعبادتهم لها، فكان خفاؤها رحمة من الله تعالى.

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخْبَرْتَنِي أُمُّ مُبَشَّرٍ، أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ

(١) البيعة على أن لا نفر: معناه الصبر حتى نظفر بعدونا أو نقتل، وهو معنى البيعة على الموت، أي نصبر وإن آل بنا ذلك إلى الموت، لا أن الموت مقصود في نفسه.

أَحَدُ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾ [مريم: ٧٢] رواه مسلم ٢٤٩٦.

فأهل بيعة الرضوان من أهل الجنة، وأنهم أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد أهل بدر.

وفي تلك السنة دخل رسول الله ﷺ بريحانة القرظية، وهذا على القول بأنها من أزواجه، كما ذهب إليه الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

٧٣- وَفَرَضَ الْحَجُّ بِخُلْفٍ فَاسْمَعَهُ وَكَانَ فَتُحْ خَيْرٍ فِي السَّابِعَةِ

ومن أحداث السنة السادسة فرض الحج فيها على خلاف بين أهل العلم في السنة التي فرض فيها الحج، والقول الثاني أنه عام تسع من الهجرة، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...﴾ والتي نزلت عام الوفود سنة تسع.

وفي السنة السابعة من الهجرة فتحت خير، وهي تقع شمال المدينة النبوية على بعد يقارب المائة والستين كيلا، وكان فيها حصون ومزارع ونخيل لليهود.

٧٤- وَحَظَرُ لَحْمِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ فِيهَا وَمُتَعَةِ النِّسَاءِ الرَّدِّيَّةِ

ومن أحداث السنة السابعة أن حرم النبي ﷺ لحوم الحمر الأهلية، أي الإنسية، بخلاف الحمر الوحشية فإنها حلال أكلها.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْرِ جَاءَ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلْتُ الْحُمْرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْنَيْتِ الْحُمْرُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا طَلْحَةَ، فَنَادَى: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولُهُ يُنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمْرِ،

فَإِنَّهَا رَجَسٌ» أَوْ «نَجَسٌ»، قَالَ: فَأُكْفِئَتِ الْقُدُورُ بِمَا فِيهَا. رواه البخاري ٥٥٢٨،
ومسلم ١٩٤٠.

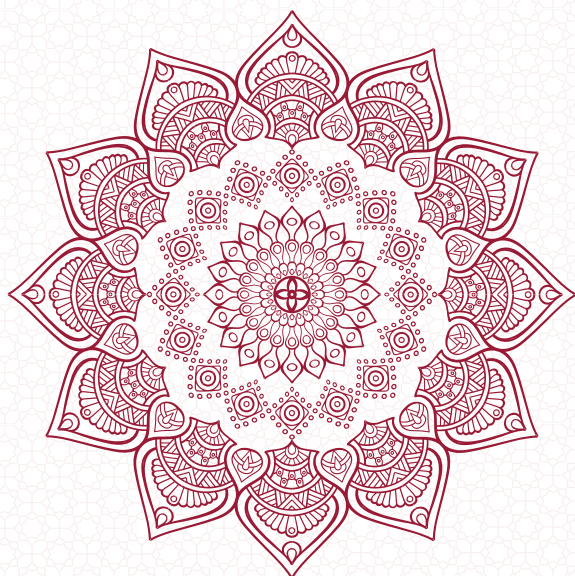
وفي السنة السابعة أيضا حرم النبي ﷺ متعة النساء، أي نكاح المتعة، وهو
أن يتزوج المرأة إلى أجل معلوم، كشهر ونحوه، فإذا انقضى الأجل حصلت
الفرقة بينهما بغير طلاق.

وقوله: (الرَّدِيَّة) أي المنكرة الفاسدة.

وفي زمن تحريم متعة النساء خلاف، ذهب النازم إلى أنه في السنة السابعة
لما في الصحيحين عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «نَهَى
عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْحُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ» رواه البخاري
٤٢١٦، ومسلم ١٤٠٧.

والحمد لله رب العالمين.





شرح الأرجوزة المنيّة في ذكر حال أشرف البرية

لابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

برنامج دليل ١٤٤٧هـ

الدرس السادس

إن الحمد لله . . أما بعد:

فيقول الناظم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٧٥ - وَسُمِّ فِي شَاةٍ بِهَا هَدِيَّةٌ ثُمَّ اصْطَفَى صَفِيَّةً صَفِيَّةً

أي أن النبي ﷺ سمته يهودية بخير في شاة أهدتها إليه، وذلك في السنة السابعة من الهجرة،

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ، قَالَ: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكَ عَلَى ذَاكَ» قَالَ: - أَوْ قَالَ - «عَلَيَّ» قَالَ قَالُوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: «فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» رواه البخاري ٢٦١٧، ومسلم ٢١٩٠، واللفظ لمسلم.

وفي شرح مسلم للنووي ١٤ / ١٧٩: (اللَّهَوَاتُ بَفَتْحِ اللَّامِ وَالْهَاءِ جَمْعُ لِهَاتٍ بَفَتْحِ اللَّامِ، وَهِيَ اللَّحْمَةُ الْحَمْرَاءُ الْمُعَلَّقَةُ فِي أَصْلِ الْحَنَكِ قَالَهُ الْأَصْمَعِيُّ، وَقِيلَ: اللَّحْمَاتُ اللَّوَاتِي فِي سَقْفِ أَقْصَى الْفَمِ، وَقَوْلُهُ: مَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا. أَيِ الْعَلَامَةِ، كَأَنَّهُ بَقِيَ لِلْسُّمِّ عَلَامَةٌ وَأَثَرٌ مِنْ سَوَادٍ أَوْ غَيْرِهِ).

ثم إن النبي ﷺ اصطفى لنفسه من سبايا خير صفية بنت حيي بن أخطب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، وهي من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، ثم أعتقها النبي ﷺ وتزوجها.

والصفئي هو ما يصطفيه النبي ﷺ من الغنيمة لنفسه قبل أن تخمس، وهو من خصائصه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فقد ذكر السيوطي في الخصائص الكبرى ٢/ ٤٢٠ أن من خصائص النبي ﷺ اصطفاء ما يختاره من الغنيمة قبل القسمة من جارية وغيرها.

قال ابن عبد البر في التمهيد ٢٠/ ٤٣: (سهم الصفئي لرسول الله ﷺ معلوم، وذلك أنه كان يصطفي من رأس الغنيمة شيئاً واحداً له عن طيب أنفس أهلها، ثم يقسمها بينهم... وأمر الصففي مشهور في صحيح الآثار، معروف عند أهل العلم، ولا يختلف أهل السير أن صفية زوج النبي ﷺ كانت من الصففي).

ثم قال ابن عبد البر ٢٠/ ٤٤: (قد أجمع العلماء طراً على أن سهم الصففي ليس لأحد بعد النبي ﷺ... إلا أن أبا ثور حكي عنه ما يخالف هذا الإجماع).

قال أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (فَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا، فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، مَا أَصْدَقَهَا؟ قَالَ: نَفْسَهَا، أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ، جَهَّزْتُهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ عَرُوسًا، فَقَالَ: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ» وَبَسَطَ نِطْعًا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمَنِ، قَالَ: وَأَخْسِبُهُ قَدْ ذَكَرَ السَّوِيقَ، قَالَ: فَحَاسُوا حَيْسًا، فَكَانَتْ وَلِيْمَةً رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) رواه البخاري ٣٧١، ومسلم ١٣٦٥.

والحيس هو الطعام المتخذ من التمر والسمن والأقط أو الدقيق.

وقول الناظم: (اصطفى صفيةً صفيه) أي اتخذ صفية بنت حيي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** صفيه أي زوجة له.

٧٦- ثُمَّ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ عَقَدَ وَمَهَرَهَا عَنْهُ النَّجَاشِيُّ نَقْدُ

أي ثم عقد النبي ﷺ على زوجته أم حبيبة، وهي رملة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ودفع مهرها النجاشي نقداً، عن النبي ﷺ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في زاد المعاد ١/ ١٠٦: (ثُمَّ تَزَوَّجَ أُمَّ حَبِيبَةَ واسمها رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية. وَقِيلَ: اسْمُهَا هند، تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِبِلَادِ الْحَبَشَةِ مُهَاجِرَةً وَأَصْدَقَهَا عَنْهُ النَّجَاشِيُّ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ، وَسَيِّقَتْ إِلَيْهِ مِنْ هُنَاكَ وَمَاتَتْ فِي أَيَّامِ أَخِيهَا معاوية.

هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ الْمُتَوَاتِرُ عِنْدَ أَهْلِ السَّيَرِ وَالتَّوَارِيخِ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ نِكَاحِهِ لَخْدِيجَةَ بِمَكَّةَ، وَلِحَفْصَةَ بِالْمَدِينَةِ وَلِصَفِيَةَ بَعْدَ خَيْرٍ).

٧٧ - ثُمَّ أَتَتْ وَمَنْ بَقِيَ مُهَاجِرًا وَعَقَدُ مَيْمُونَةَ كَانَ الْآخِرَ

أي ثم رجعت أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الحبشة، ورجع معها من بقي من مهاجري الحبشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الذين هاجروا من مكة إلى الحبشة وبقوا بها سنين، فرجعوا في السنة السابعة من الهجرة، بعد فتح خير، فقدموا على النبي ﷺ بخير، يتقدمهم ابن عمه جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عن الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قال: لما قدم جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الحبشة ضمه النبي ﷺ، وقَبَّلَ ما بين عينيه، وقال: (ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً، فتح خير، أو قدوم جعفر) ^(١).

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٠٩) والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٥٨٠) واللفظ للبيهقي، وقال البيهقي بعده: هذا مرسل. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (١٤٧٠) (٢/ ١٠٨) و (٢٢/ ١٠٠) من طريق عون بن أبي جحيفة عن أبيه، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٣٣٥) عن إسناد الطبراني: إسناد جيد. وانظر الصحيحة برقم (٢٦٥٧).

وكان بصحبتهم أهل السفينة الذين جاؤوا من اليمن، وهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ومن معه من قومه الأشعريين.

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: بَلَّغَنَا مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ، أَنَا وَأَخَوَانِ لِي، أَنَا أَصْغَرُهُمَا، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَالْآخَرُ أَبُو رُحَيْمٍ - إِمَّا قَالَ بَضْعًا وَإِمَّا قَالَ: ثَلَاثَةً وَخَمْسِينَ أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي - قَالَ فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَيْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا، وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ فَأَقِيمُوا مَعَنَا، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا، قَالَ: فَوَافَقَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا، أَوْ قَالَ أَعْطَانَا مِنْهَا، وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ، إِلَّا لِأَصْحَابِ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ، قَالَ فَكَانَ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا - يَعْنِي لِأَهْلِ السَّفِينَةِ -: نَحْنُ سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ. قَالَ: فَدَخَلْتُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا، عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً، وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ، وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا، فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ؟ الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ ^(١)؟ فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ، فَقَالَ عُمَرُ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهَجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكُمْ، فَغَضِبَتْ، وَقَالَتْ كَلِمَةً: كَذَبْتَ يَا عُمَرُ كَلًّا، وَاللَّهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعْطِي جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ، أَوْ فِي أَرْضٍ الْبُعْدَاءِ الْبُغَضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللَّهِ وَفِي رَسُولِهِ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكَرَ مَا قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذِي وَنُخَافُ، وَسَاءَ ذِكْرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَسْأَلُهُ، وَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيعُ وَلَا أَزِيدُ عَلَى

(١) (البحشية) نسبها إلى الحبشة لأنها هاجرت إليها وسكنت فيها (البحرية) أي التي ركب البحر عند هجرتها.

ذَلِكَ، قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّ عَمَرَ قَالَ: كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلَا أَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ، أَهْلُ السَّفِينَةِ، هِجْرَتَانِ» قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا، يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى، وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي. رواه البخاري ٤٢٣٠، ٤٢٣١، ومسلم ٢٥٠٢، ٢٥٠٣، واللفظ لمسلم.

ثم عقد النبي ﷺ على أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي آخر من تزوجها من نسائه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وكان زواجه ﷺ بها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في السنة السابعة في عمرة القضاء.

ووقع خلاف بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في هل تزوجها رسول الله ﷺ وهو محرم أو حلال؟ والذي عليه أكثر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بل وأكثر أهل العلم بعدهم أنه تزوجها وهو حلال، خلافا لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الذي يرى أنها تزوجها وهو محرم، والراجح قول الأكثر أنه تزوجها وهو حلال، لأن صاحبة القصة وهو ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قد أخبرت أن النبي ﷺ تزوجها وهو حلال، وكذا السفير بينهما وهو أبو رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أخبر أنه ﷺ تزوجها وهو حلال، وهما أعلم بذلك من ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والمسألة مبسوطة في كتب الفقه.

٧٨ - وَقَبْلَ إِسْلَامِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَبَعْدَ عُمَرَةَ الْقَضَا الشَّهِيرَةِ

أي وقبل عقد النبي ﷺ على ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان قدوم أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى النبي ﷺ بخير، فكان إسلامه في السنة السابعة من الهجرة.

وبعد غزوة خيبر وما وقع بعدها من أحداث اعتمر النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عمرة القضاء، وهي عمرته الثانية بعد الهجرة، وسميت بذلك من المقاضاة؛ لأن النبي ﷺ قاضى كفار قريش في صلح الحديبية سنة ست من الهجرة على أن يرجع ولا يعتمر ذلك العام، ثم يأتي في العام القابل معتمرا، ولا يقيم بمكة إلا ثلاثة أيام.

وليس سبب التسمية لأنها قضاء عن العمرة التي صُدَّ عنها سنة ست، لأن من صد عن البيت فإنه يتحلل بذبح الهدي والحلق ولا يلزمه قضاء النسك.

٧٩ - وَالرُّسُلُ فِي مُحَرَّمٍ الْمُحَرَّمِ أَرْسَلَهُمْ إِلَى الْمُلُوكِ فَأَعْلَمَ

أي وقبل ذلك بعث النبي ﷺ الرسل في شهر الله المحرم من السنة السابعة من الهجرة، أي بعد رجوعه من مكة وإيرامه صلح الحديبية مع المشركين، وكان هذا الصلح في آخر سنة ست من الهجرة.

وقوله: (المحرّم) أي الشهر الحرام، فإن الأشهر الحرم ثلاثة سرّد، وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد، وهو رجب.

أرسل النبي ﷺ هؤلاء الرسل من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى الملوك في وقته من العرب والعجم يدعوهم إلى دين الإسلام^(١).

ومن هذه الكتب كتابه ﷺ إلى هرقل، ففيه، ونصه كما في الصحيحين:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلَمَ،

(١) فائدة: ألف محمد ابن حديدة (ت: ٧٨٣هـ) كتاب: المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي. وهو مطبوع في مجلدين.

وَأَسْلِمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ^(١)،
وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا
نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا
أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾» رواه البخاري ١٧٧٣، ومسلم

٨٠ - وَأُهْدِيَتْ مَارِيَةُ الْقُبْطِيَّةُ فِيهِ وَفِي الثَّامِنَةِ السَّرِيَّةُ

٨١ - لِمَوْتَةِ سَارَتْ وَفِي الصِّيَامِ قَدْ كَانَ فَتَحَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ

أي وفي السنة السابعة من الهجرة أهديت للنبي ﷺ مارية القبطية، أهداها
له المقوقس عظيم مصر.

وذلك أن النبي ﷺ أرسل إليه كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام، حمله إليه
حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأكرم المقوقس كتاب رسول الله ﷺ، ولكنه لم
يسلم، وأرسل إلى النبي ﷺ بهدايا، منها مارية القبطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وذكر الحافظ في الإصابة^(٢) أن حاطباً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد عرض على مارية
الإسلام قبل قدومها المدينة فأسلمت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، اتخذها النبي ﷺ سُرِّيَّةً،
وولدت له ابنه إبراهيم.

وبعد موت النبي ﷺ كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينفق عليها، ثم بعد موته كان
عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينفق عليها، حتى ماتت في خلافته سنة ست عشرة من الهجرة.

وفي السنة الثامنة أرسل النبي ﷺ سُرِّيَّةً إلى مؤتة، والسَّرِيَّةُ القطعة من
الجيش، ومؤتة اليوم بلد في الأردن.

(١) أي الفلاحون والزراعون، ومعناه: إن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك، ونبه
بهؤلاء على جميع الرعايا لأنهم الأغلب، ولأنهم أسرع انقيادا فإذا أسلم أسلموا وإذا امتنع امتنعوا.

(٢) ٣١١، ٣١٠ / ٨.

عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ مُوتَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَوَجَدْنَاهُ فِي الْقَتْلَى، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بَضْعًا وَتَسْعِينَ، مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمِيَّةٍ «رواه البخاري ٤٢٦١».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ» وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ: «حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» رواه البخاري ٤٢٦٢.

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، يَقُولُ: «لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُوتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ^(١)» رواه البخاري ٤٢٦٥.

وفي السنة الثامنة من الهجرة فتحت مكة المكرمة في شهر رمضان.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «خَرَجَ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ، وَذَلِكَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ وَنُصْفٍ مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ، فَسَارَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ، يَصُومُ وَيَصُومُونَ، حَتَّى بَلَغَ الْكَدِيدَ، وَهُوَ مَاءٌ بَيْنَ عُسْفَانَ، وَقُدَيْدٍ أَفْطَرُوا وَأَفْطَرُوا» رواه البخاري ٤٢٧٦، ومسلم ١١١٣، واللفظ للبخاري.

(١) (صفيحة يمانية) سيف عريض النصل من صنع اليمن.

٨٢ - وَبَعْدَهُ قَدْ أوردُوا مَا كَانَ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ ثُمَّ يَوْمِ الطَّائِفِ

أي وبعد فتح مكة أورد علماء السيرة ما كان في يوم حنين، وحنين واد من أودية مكة جهة الشرق، ف وقعت غزوة حنين بعد فتح مكة، بين المسلمين وقبيلة هوازن، وكانت الغلبة في أول الأمر لهم على المسلمين، وثبت رسول الله ﷺ ومعه ثلة من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم اجتمع إليه بقيتهم وكروا على العدو فهزم موهم.

ثم بعد ذلك غزوة الطائف، فبعد أن انتصر المسلمون في حنين سار بأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى الطائف، وحاصروهم في حصونهم أربعين ليلة، ثم رجع رسول الله ﷺ، من غير قتال.

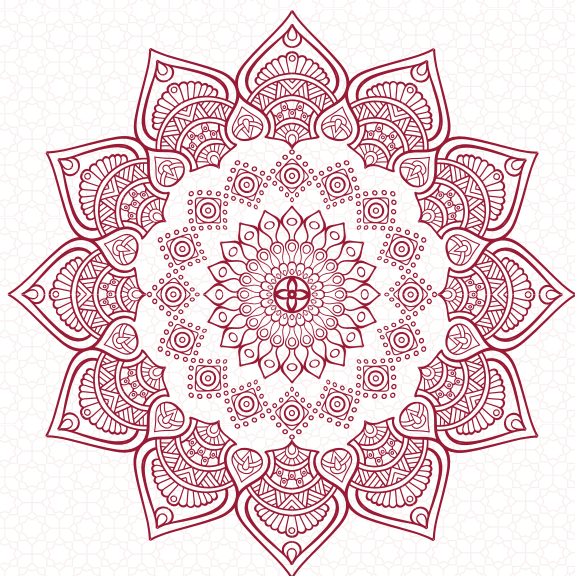
٨٣ - وَبَعْدُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ اعْتِمَارُهُ مِنَ الْجِعْرَانَةِ وَاسْتِقْرَارُهُ

أي وبعد العود من حصار الطائف في شهر ذي القعدة من السنة الثامنة من الهجرة اعتمر النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهي العمرة الثالثة بعد الهجرة، اعتمر ﷺ من الجعرانة، وهي بلد بين مكة والطائف، شمال شرق مكة، تبعد عنها ما يقارب العشرين كيلومتر.

(واستقراره) أي في الجعرانة، ثم عودته بعد ذلك إلى المدينة.

والحمد لله رب العالمين





شرح الأرجوزة المنيّة في ذكر حال أشرف البرية

لابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

برنامج دليل ١٤٤٧هـ

الدرس السابع

إن الحمد لله . . أما بعد:

فيقول الناظم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

٨٤ - وَبِنْتُهُ زَيْنَبُ مَاتَتْ ثُمًّا مَوْلِدُ إِبْرَاهِيمَ فِيهَا حَتْمًا

أي في السنة الثامنة من الهجرة توفيت ابنة النبي ﷺ زينب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا،
(ثُمًّا) ثم: حرف عطف، والألف للإطلاق.

وهي التي غسلتها أم عطية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ففي صحيح مسلم (٩٣٩) عَنْ أُمِّ
عَطِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا مَاتَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«اغْسِلْنَهَا وَتَرَا ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، وَاجْعَلْنَ فِي الْخَامِسَةِ كَافُورًا، أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ،
فَإِذَا غَسَلْتُنَّهَا، فَأَعْلِمْنِي» قَالَتْ: فَأَعْلَمْنَاهُ، فَأَعْطَانَا حَقَّوهُ وَقَالَ «أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ»
(حقوه) بفتح الحاء وكسرهما لغتان يعني إزاره.

(أشعرنها إياه) أي اجعلنه شعارا لها وهو الثوب الذي يلي الجسد سمي
شعارا لأنه يلي شعر الجسد، والحكمة في إشعارها به تبريكها به.

وفي السنة الثامنة أيضا ولد إبراهيم ابن النبي ﷺ، من سرّيته مارية القبطية
رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (حتما) أي يقنيا.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةُ غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ» رواه مسلم ٢٣١٥.

٨٥ - وَوَهَبَتْ نَوْبَتَهَا لِعَائِشَةَ سَوْدَةُ مَا دَامَتْ زَمَانًا عَائِشَةَ

أي وفي هذه السنة الثامنة وهبت أم المؤمنين سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يومها لأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقوله: (ما دامت زمانا عائشة) أي مدة دوام عيشها.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا، غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضًا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» رواه البخاري ٢٥٩٣.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ «وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَهَا وَيَوْمِ سَوْدَةَ» رواه البخاري ٥٢١٢.

٨٦ - وَعَمِلَ الْمِنْبَرُ غَيْرَ مُخْتَفٍ وَحَجَّ عَتَابٌ بِأَهْلِ الْمُؤَقِفِ

أي وفي السنة الثامنة من الهجرة صُنع المنبر لرسول الله ﷺ (غير مختف) أي ظاهر في مسجده ﷺ.

عَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ إِلَى سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى فُلَانَةٍ، امْرَأَةٍ قَدْ سَمَّاهَا سَهْلٌ: «أَنْ مُرِّي غُلَامَكَ النَّجَّارَ، يَعْمَلُ لِي أَعْوَادًا، أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ»، فَأَمَرْتُهُ يَعْمَلُهَا مِنْ طَرَفِ الْعَابَةِ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا، فَأَرْسَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَوُضِعَتْ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ. رواه البخاري ٢٠٩٤.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ، فَإِنْ لِي غُلَامًا نَجَارًا قَالَ: «إِنْ شِئْتَ»، قَالَ: فَعَمِلْتُ لَهُ الْمِنْبَرَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عَنْهَا، حَتَّى كَادَتْ تَشَقُّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَخَذَهَا، فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَجَعَلَتْ تَنْ أُنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قَالَ: «بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذُّكْرِ» رواه البخاري ٢٠٩٥.

وفي السنة الثامنة من الهجرة حج عتاب بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأهل الموقف، أي بالحجاج ذلك العام من المسلمين والمشركين، وكان النبي ﷺ ولاه إمرة مكة بعد فتحها.

٨٧- ثُمَّ تَبُوكَ قَدْ غَزَا فِي التَّاسِعَةِ وَهَدَّ مَسْجِدَ الضَّرَارِ رَافِعَهُ

أي ثم في السنة التاسعة من الهجرة وقعت غزوة تبوك، وهي البلد المعروفة على أطراف بلاد الشام.

وفي تلك السنة التاسعة هدم النبي ﷺ مسجد الضرار (رافعه) أي رافعا الضرار الذي بُني هذا المسجد لأجله.

٨٨- وَحَجَّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ وَثُمَّ تَلَا بَرَاءَةً عَلَيَّ وَحَتَمَ

٨٩- أَنْ لَا يَحْجَّ مُشْرِكٌ بَعْدُ وَلَا يَطُوفُ عَارِذَا بِأَمْرِ فِعْلًا

أي وحج بالناس في السنة التاسعة من الهجرة أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (وَتَمَّ) أي هناك (تلا) أي قرأ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سورة براءة.

(وَحَتَمَ) أي أوجب (ألا يحج بالبيت) الحرام (مشرِك بعدُ) أي بعد العام التاسع، لأجل أن يحج النبي ﷺ في العام العاشر وقد طُهر البيت الحرام من المشركين.

(ولا يطوف) بالكعبة المشرفة (عارٍ) أي عاري الجسد، كما كان بعض المشركين يطوفون عراة (ذا بأمر فعلا) أي أن هذا الإنذار والبلاغ فعلهما أبو بكر وعلي رضي الله عنهما بأمر النبي صلى الله عليه وسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى، أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد بن عبد الرحمن: ثم «أرذف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب، وأمره أن يؤذن ببراءة»، قال أبو هريرة: فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة، «وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان» رواه البخاري ٤٦٥٥، ومسلم ١٣٤٧، واللفظ للبخاري.

٩٠ - وجاءت الوفود فيها تنرى هذا ومن نساها إلى شهرا

أي وجاءت الوفود إلى المدينة في السنة التاسعة من الهجرة (تترا) أي متتابعة، ولهذا سمي العام التاسع من الهجرة عام الوفود، وذلك بعد فتح مكة، وظهور الإسلام على الكفر، فحينئذ دخل الناس في دين الله أفواجا، وقدمت الوفود تلك السنة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي تلك السنة التاسعة أيضا آلى النبي صلى الله عليه وسلم من نسائه شهرا، وكان سبب ذلك أنهم سألوه الزيادة في النفقة، وقيل غير ذلك.

عن أنس رضي الله عنه، قال: آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائه شهرا، وقعد في مشربة له، فنزل لتسع وعشرين، ف قيل: يا رسول الله إنك آليت على شهر؟ قال: «إن الشهر تسع وعشرون» رواه البخاري ٥٢٠١.

المشربة بالضم والفتح: الغرفة. قاله في النهاية ٤٥٥/٢.

٩١ - ثُمَّ التَّجَاشِيَّ نَعَى وَصَلَّى عَلَيْهِ مِنْ طَبِئَةٍ نَالِ الْفَضْلَ

أي ثم نعى النبي ﷺ النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أي أخبر بموته، وصلى عليه صلاة الجنازة، فنال النجاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الفضل من طيبة أي المدينة، بصلاة النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عليه.

عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: نَعَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّجَاشِيَّ صَاحِبَ الْحَبَشَةِ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ» قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَفَّ بِهِمْ بِالْمُصَلَّى، فَصَلَّى فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ» رواه البخاري ٣٨٨٠، ٣٨٨١، ومسلم ٩١٥.

٩٢ - وَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ فِي الْعَامِ الْآخِرِ وَالْبَجَلِيَّ أَسْلَمَ وَاسْمُهُ جَرِيرٌ

أي ومات إبراهيم ابن النبي ﷺ في العام الأخير من حياة النبي ﷺ، أي في السنة العاشر من الهجرة.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا.. الحديث. رواه أبو داود ٣١٨٧، وقال الحافظ في الإصابة ٣١٩/١: إسناده حسن.

وإبراهيم ولد في ذي الحجة من السنة الثامنة من الهجرة بالاتفاق^(١)، فعلى هذا تكون وفاته في السنة العاشرة.

وفي السنة العاشرة أيضا أسلم الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر ٣/ ١٧٤.

٩٣ - وَحَجَّ حَجَّةَ الْوَدَاعِ قَارِنًا وَوَقَفَ الْجُمُعَةَ فِيهَا آمِنًا

٩٤ - وَأَنْزَلَتْ فِي الْيَوْمِ بُشْرَى لَكُمْ (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)

أي وحج النبي ﷺ حجة الوداع سنة عشر من الهجرة، قال جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في صفة حج النبي ﷺ: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذِنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشْرًا كَثِيرًا، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ) رواه مسلم ١٢١٨.

وسميت بذلك؛ لأن النبي ﷺ ودّع المسلمين لقول جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: (لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ)» رواه مسلم ١٢٩٧.

وكان نسكه القران، وساق معه الهدى، وذلك أنه ﷺ أحرم بالحج والعمرة معا، وبقي على إحرامه حتى حل يوم النحر، هذه صورة القران.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كما في مجموع الفتاوى ٦٢ / ٢٦: (والمنصوص عن الإمام أحمد أن النبي ﷺ كان قارنا بين العمرة والحج، حتى قال: لا أشك أن النبي ﷺ كان قارنا. وهذا قول أئمة الحديث: كإسحاق بن راهويه وغيره. وهو الصواب الذي لا ريب فيه، وقد صنف أبو محمد ابن حزم في حجة الوداع مصنفًا جمع فيه الآثار وقرر ذلك).

وللقران صورة أخرى، وهي أن يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل الشروع في طوافها فيصير قارنا.

ووقف في حجة الوداع بعرفة يوم الجمعة (آمنا) لأن مكة صارت دار إسلام بعد فتحها عام ثمان.

وأنزل عليه في يوم عرفة بشرى عظيمة لهم، وهي قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم . . .) وهي البشرى بكمال الدين، وتمام النعمة،

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا، مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرُؤُونَهَا، لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] قَالَ عُمَرُ: «قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ»، وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ» رواه البخاري ٤٥، ومسلم ٣٠١٧.

وقوله الناظم: (اليوم أكملت لكم دينكم) هذا يسمى اقتباس، بأن يذكر المتكلم في كلامه آية من القرآن الكريم أو بعض آية من غير أن يقول: «قال الله» وهو جائز، إذا وضعه فيما يحسن من المعاني.

٩٥ - وَمَوْتُ رِيحَانَةَ بَعْدَ عَوْدِهِ وَالتَّسْعُ عِشْنَ مُدَّةً مِنْ بَعْدِهِ

أي ومن أحداث السيرة موت ريحانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والتي تقدم ذكرها، والخلاف فيها هل هي زوجة أو سُرِّيَّة، وأكثر أهل العلم على أنها سُرِّيَّة، وكان موتها بعد عود النبي ﷺ من حجة الوداع.

وقوله: (والتسع عشن مدة من بعده) أي عاش أزواج النبي ﷺ بعد موته مدة من الزمان، وهن عائشة وحفصة وأم حبيبة وزينب بنت جحش وأم سلمة وميمونة وسودة وجويرية وصفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

فهو ﷺ قد مات عن تسع نسوة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

وأول أزواجه موتاً بعده ﷺ زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ماتت سنة عشرين من الهجرة، فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«أَسْرَعُكُنَّ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا» قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا، قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ. رواه البخاري ١٤٢٠، ومسلم ٢٤٥٢.

قال النووي في شرح مسلم ٨ / ١٦: (معنى الحديث أنهم ظن أن المراد بطول اليد طول اليد الحقيقية وهي الجارحة فكُن يذرعن أيديهن بقصبة فكانت سودة أطولهن جارحة وكانت زينب أطولهن يدا في الصدقة وفعل الخير فماتت زينب أولهن فعلموا أن المراد طول اليد في الصدقة والجود).

وآخرهن موتا أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(١)، ماتت سنة إحدى وستين من الهجرة. عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ الْقُبَيْطِيَّةِ، قَالَ: دَخَلَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي رِيْعَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ وَأَنَا مَعَهُمَا، عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَسَأَلَاهَا عَنِ الْجَيْشِ الَّذِي يُخَسَفُ بِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَعُودُ عَائِذُ بِالْبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بَيِّدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا؟ قَالَ: «يُخَسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نَبْتِهِ» رواه مسلم ٢٨٨٢.

٩٦ - وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ قَضَى يَقِينَا إِذْ أَكْمَلَ الثَّلَاثَ وَالسَّتِينَ

أي في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول (قضى) أي توفي النبي ﷺ (يقينا) أي لا شك في ذلك، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند البخاري (١٣٨٧) وفيه أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لها: في أي يوم توفي رسول الله ﷺ؟ قالت: يوم الاثنين.

وكانت وفاته بعد أن أكمل ثلاثا وستين سنة من عمره ﷺ.

(١) ينظر: الإصابة ٨ / ٤٠٧.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوْفِيَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.
رواه البخاري ٣٥٣٦، ومسلم ٢٣٤٩.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَأَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَعُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ» رواه مسلم ٢٣٤٨.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ» رواه البخاري ٣٩٠٢، ومسلم ٢٣٥١.

٩٧- وَالْدَّفْنُ فِي بَيْتِ ابْنَةِ الصَّدِيقِ فِي مَوْضِعِ الْوَفَاةِ عَنْ تَحْقِيقِ

أي ودفن جسده الشريف ﷺ في بيت ابنة الصديق، عائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، في الموضع الذي مات فيه عليه الصلاة والسلام.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَتَعَذَّرُ فِي مَرَضِهِ: «أَيْنَ أَنَا الْيَوْمَ، أَيْنَ أَنَا غَدًا» اسْتَبْطَأَ لِيَوْمِ عَائِشَةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي، قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَدَفِنَ فِي بَيْتِي. رواه البخاري ١٣٨٩، ومسلم ٢٤٤٣.

(بين سحري ونحري) بين صدري وعنقي. والسحر الرئة أو الصدر.

٩٨- وَمُدَّةُ التَّمْرِ بِضِ خُمْسَا شَهْرٍ وَقِيلَ بَلْ ثَلَاثٌ وَخُمْسٌ فَادِرٍ

أي ومدة مرض النبي ﷺ (خمسًا شهر) وهي اثنا عشر يومًا، لأن خمس الشهر ستة أيام، وقيل في مدة مرضه ﷺ أنها (ثلاث وخمس) أي ستة عشر يومًا، لأن ثلاث الشهر عشرة أيام، وخمسه ستة أيام.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في الفتح ٨ / ١٢٩: (واختلف في مدة مرضه فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوماً).

٩٩ - وَتَمَّتِ الْأَرْجُوزَةُ الْمِئِّيَّةُ فِي ذِكْرِ حَالِ أَشْرَفِ الْبَرِيَّةِ

أي كملت هذه الأرجوزة من بحر الرجز، وهي في مائة بيت، ولذا قال: (المِئِّيَّة)، وقال بعض الشراح لهذه الأرجوزة إن الموافق للقواعد الصرفية أن يقال: (المئّية).

(في ذكر حال أشرف البرية) أي هذه الأرجوزة في ذكر أحوال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ ولادته إلى موته، وقد ذكر فيها جملة من أخبار السيرة نافعة للمبتدئ، وإلا فمن أراد التوسع فليرجع إلى كتب السيرة المطولة. والبرية: الخلق.

١٠٠ - صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ رَبِّي وَعَلَى صَحَابِهِ وَآلِهِ وَمَنْ تَلَا

أثنى عليه الله تبارك وتعالى، لأن الصلاة من الله تعالى ثناؤه على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الملائ الأعلى، وصلى على أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وصلى على آله، وهم من آمن به من أهل بيته رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وصلى على من تلا، أي جاء بعدهم ممن اقتفى أثرهم، واهتدى بهداهم.

والحمد لله رب العالمين، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

